

56

كتابي



إيثيل مانين

# الطريق إلى بئر سبع

الجزء الأول



توزيعهم : شمس شعور الانكليزية  
أكبر مكتبة رقمية

www



قائمه  
المؤسسة العربية الحديثة  
المطبعة والنشر  
بغداد - العراق  
الطبعة الاولى

محمي راد

## هاتان السلسلتان .. في عهدهما الجديد

## عزيزى القارئ ..

في مستهل هذه المرحلة الجديدة من حياة ( كتابى ) و ( مطبوعات كتابى ) - السلسلتين اللتين جيونهما بحبك واعزازك منذ اللحظة الأولى لصدورهما ، حتى اليوم ، طوال اثني عشر عاما - ارى من حقل على ان نتبادل معا حديثا « من القلب إلى القلب » ، كما افنا ان نتبادل في كل مناسبة سابقة ..

والمناسبة او « البشري » الجديدة التى اود ان ازعمها اليك - وإلى نفسى في الوقت عينه - هو ان امنية قديمة من امانى قد آن لها اخيرا ان تتحقق .. والامنية التى اعتها ، والتي طالما تبيتها ، هى ان اتخفف من أحد العبئتين الثقيلتين اللذين أخذتهما على عاتقى - مضطرا - منذ أصدرت العدد الأول من ( كتابى ) في مارس عام ١٩٥٢ .. وهما : أولا ، عبء مسئوليتى كناشر للسلسلتين ( بكل ما تحصل عليه النشر في ذاتها من متاعب ، وهموم ، واعباء إدارية والتزامات مالية وحسابية .. ومشكلات طباعة ، وورق ، وحبر ، وتسويق ، وتوزيع .. إلى آخر هذه الدوامه الرهيبة ! ) .. وثانيا : عبء مسئوليتى عن تحرير السلسلتين ، ( بكل ما تحمله عملية التحرير من مهام حبيبة إلى نفسى ، وتحليق في آفاق الفكر والثقافات والفنون .. ومعاناة لمشكلات

الحرص على امانة الترجمة وسلامة التلخيص وجمال الأسلوب .. الخ ) .

ولا اكتمك اننى لم اقدم على الاضطلاع بكلا العيين ، حين أصدرت ( كتابى ) ، إلا لاننى لم اجد الناصر الذواق الذى يؤمن بفكرتى ويولى المشروع ثقته ويطنن إلى نجاحه ، فيقدم على إخراجه إلى حيز التنفيذ .. فكان ان اضطورت إلى تنفيذه بمفردى ، وقد جرب إيهانى ترددى ، وغلبنى حساستى له على أمرى ..

كما لا اكتمك اننى قد طالما شقيت بهذين العيين اللذين انقلا كاهلى طوال هذه الاعوام الاثني عشر .. وفى الوقت الذى كانت فيه دوائر الصحافة والأدب في العالم العربى تتجاوب بأصداة نجاح ( كتابى ) و ( مطبوعاته ) كنت أنا اتجرع غصص التعاسة والالم ، والرثاء لنفسى من أجل المصير الذى انتهت إليه ، و ( المساقية ) التى وجدتنى مشدودا إليها ، مسؤولا عن دورانها المستمر بلا توقف ، كالثور المصوب العينين ..

.. وكلما ضقت بتعاستى ، تاججت بين جوانحى نيران الثورة على نفسى وعلى الوضع الشاذ الذى وجدتنى أسرا له .. وضع « الكاتب » الذى يعمل « ناشرا » ، والأديب الذى يقضى إيامه ويفنى حياته في مواجهة مشكلات الإدارة والطباعة ، والحبر والورق ، والتأثيرات الحسنة .. والعياذ بالله !

.. واشتقت إلى أن أكون أديبا وكاتبا ، وحسب ! ..  
أقرأ ، مستمتعا بالقراءة .. وأكتب ، مستمتعا بالكتابة ..  
كما بدأت .. وكما هي طبيعتي ، ومزاجي ، وعلمي حياتي ..  
اشتقت إلى ذلك شوقا كاد يقربني بأن أحطم كل عائق يقف  
بيني وبين حلمي العتيق ، ولو كان هذا العائق ( كتابي ) !!

.. وحين كان حلقى على نفسي يقهرني ، وإحساسي  
بالإرهاق يسوّل لي أن أتوقف عن إصدار كتابي ..  
أو يحولني على الأقل على التراخي في إصداره بانتظام ، كي  
أتحرق بعض الوقت من « الأسر » ، وأسريح من جر المساقية  
والدوران حولها كالثور ، معصوب العينين .. فاستمتع  
بقراءاتي المحببة ، في فقرة من سوط الجلال الذي يلهب  
نظري .. كانت صيحاتك تلاحقني : كتابي يجب أن  
يستمر .. كتابي يجب أن يصدر بانتظام .. فكنت أرضخ  
لمشيئتك ، وينسيني إشفائي على ( كتابي ) ، إشفائي على  
نفسي .. فاستسلم لمصيري ، وأمضى في طريقي ، كاسف  
اليسال ..

.. حتى منحت لمرصة لمست فيها من الوزير الإنسان ،  
رأى الثقافة والآداب والفنون ، الدكتور محمد عبد القادر  
حاتم ، غيرة - مشكورة - على كتابي ومطبوعاته ، وقلقا  
- لا أدري كيف أصفه - من أجل عدم انتظامهما ، وتقديرا  
كريميا للرسالة التي يستهدفانها .. وترحيبا - يتلج صدرى -  
بأن تتولى « مؤسسة الأتباء والنشر » عنى عبء إصدار  
السلسلتين اللتين أمنت مقاميهما زهرة عمري ، والتمتبا

خير سنوات حياتي .. فتعلقت مرحبا بطوق النجاة ، وداعيني  
- من جديد - الأمل في أن أعود كاتبا ، وأديبا ، وحسب ..  
أخلق في دنيا الأدب ، والفكرة ، والفن ، كالنحلة ، لأجمع لك من  
كل زهرة من أزهار المعرفة رحيقها العذب .. ومن كل نبع من  
ينابيع الثقافة قطرات وقطرات ..

ولمست أزعم أنني قد تخففت - بعد - من الأعباء  
« المزدوجة » التي أرهقتني ، فليس ذلك بالأمر اليسير ، سيما  
في البداية .. كما لا أزعم أن العدد الأول الذي بين يديك  
يرضي ، أو يرضيك - فإن أحلامي لكتابي لا تقف عند  
حد - وإنما هو مجرد إيدان بالعودة .. عودة العجلة إلى  
الدوران .. وما هو إلا بداية لأعداد متلاحقة أرجو أن يتفوق  
كل عدد منها على سابقه .. وكلما اتلحت لي الظروف أن انخلف  
من قدر من الأعباء الإدارية ، استطعت أن أعطى التحرير  
قدرا أكبر من الجهد ، ومن الوقت ، ومن الأعصاب ..

فإذا أسعدتك - أيها القارئ العزيز - عودة ( كتابي )  
و ( مطبوعات كتابي ) إلى الصدور والانتظام ، فلنكن غيبطتك  
بعودتها دينا في عنقك للوزير الذي فتح للثقافة في بلادنا  
أفاقا جديدة ، تنفس فيها ، وتزدهر ، وتترعرع .. وما عليك  
إلا أن تتوجه بالشكر العميق ، النابع من القلب ، للدكتور  
محمد عبد القادر حاتم ، الذي أتاح لكتابي ومطبوعاته مؤاملة  
رسالتها الثقافية التي آمن بها ، فوعاها .. فقامت بمهمة  
الرعاية حلقة جديدة من حلقات عمله الدائم النبيل ، والشجيرة



الثقافية » التي يتأدى بها في كل مناسبة تأدث ثورتنا المباركة الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر ..

« الثورة الثقافية » التي خلقت مفاهيم جديدة لدور الدولة في رعاية الآداب والعلوم والفنون ، وجعلت من وزارة الثقافة لواء ضخما يستقل به جميع العاملين في حقول المعرفة ، سواء من طريق أجهزة الوزارة ذاتها ، أو عن طريق مؤسساتها العامة ، وفي مقدمتها المؤسسة المصرية العامة للكتاب والنشر والتوزيع والطباعة ، التي أخذت على عاتقها مهمة ضخمة هي إصدار كتاب جديد كل ٦ ساعات ، وقطعت في هذا السبيل شوطا بعيد المدى ، لموسى الأثر .

وفي ظل هذه المفاهيم الجديدة ، لنسر معا أيها القارئ العزيز على بركة الله .

والله ولي التوفيق

حلمي مراد

## المؤلفة .. في سطور

« إيفيل مائين » - مؤلفة هذه القصة الشائقة - روائية إنجليزية معاصرة ، من أصل أيرلندي ، ولدت في لندن عام ١٩٠٠ .. وهي تعتبر « عاصمية » تفقت نفسها بنفسها - إذ اضطرتها الظروف إلى ترك الدراسة في سن الرابعة عشرة ، وبدأت حياتها العملية في الخامسة عشرة ، ككاتبة أختزال في وكالة للإعلانات .

ثم تدرجت في العمل حتى صارت - في سن ١٧ سنة - مساعدة لحرر المجلة المسرحية والرياضية ( ذي بليكان ) .

وفي سن الثمانية والعشرين ، كتبت روايتها الطويلة الأولى ، ودخلت بها مسابقة للقصة الطويلة .

ومنذ ذلك التاريخ دأبت على نشر رواية طويلة كل عام ، بانتظام .. كما الفت عدة كتب في أدب الرحلات ، وصفت فيها سياحاتها في كل من ( بورما ، الهند ، روسيا ، المغرب ، مقاطعة بريتانى ( بفرنسا ) ، اليابان ، ثم الشرق الأوسط ) ..

وقد ترجمت كتبها إلى اللغات : الفرنسية ، الألمانية ، الهولندية ، الأسبانية ، الإيطالية ، الإسكندنافية .

وهذه القصة الممتعة التي صورت فيها مأساة العدوان الصهيوني القادر على عرب فلسطين خلال حرب ١٩٤٨ ، هي أحدث رواياتها ، وقد صدرت في لندن منذ شهر واحد ، ولم تترجم بعد إلى أية لغة ، سوى ترجمتها إلى العربية .



« وأعطيتكم أرضاً لم تتعبوا عليها ومنسأ  
لم تبنيوها وتسكنون بها ، ومن كروم وزيتون  
لم تفرسوها تاكلون » .

يشوع : ٢٤ : ١٣

## مقدمة المؤلف

لا بد من ايضاح .

حتى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ كان ثمة بلد يسمى فلسطين .  
هو الوطن العتيق للفلسطينيين القدامى ، وهو بلد عيسى  
الصيغة بصورة واضحة - وحين صدر إعلان « بلفور » في  
نوفمبر سنة ١٩١٧ مؤذنا بأن الحكومة البريطانية تؤيد « قيام  
وطن قومي لليهود في فلسطين » كانت غالبية السكان هناك  
من العرب ، بنسبة تزيد على ٩٠٪ . وكان في فلسطين في  
ذلك الوقت نحو ٥٠٠.٠٠٠ يهودي . أما المسلمون والمسيحيون  
فكان عددهم وقتئذ نحو ٦٧٠.٠٠٠ . ولكن في سنة ١٩١٥  
كان السير « هربرت صويل » اليهودي والصهيوني البارز  
قد نادى في مذكرة بعنوان « مستقبل فلسطين » بهجرة ثلاثة  
او أربعة ملايين من اليهود إلى فلسطين تحت الحماية  
البريطانية . فوضحت من ذلك المطامع الصهيونية بصورة  
لا خفاء فيها ، وثبت أن ما يرمون إليه ليس إنشاء موطن قومي  
وملاذ لأصحاب الاضطهاد من اليهود في مختلف البلدان ، بل  
الهدف الحقيقي هو إقامة دولة يهودية مستقلة لا مكان

## اهداء الكتاب

إلى اللاجئين الفلسطينيين ومن أجلهم .  
اولئك الذين قالوا لي في كل الاقطار  
العربية التي استضافتهم :

— لماذا لا تكتبين قصتنا نحن ، قصة  
الخروج الآخر ... خروجنا نحن ؟!

## المؤلفة

ولما صدر إعلان بلغور بعد ذلك بثلاث سنوات تقريبا ،  
واجه واقعا أقل من ذلك بكثير ، فكان الحل البديهي في نظر  
اليهود هو ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بحيث يصبح  
اليهود هناك أغلبية . وفي سنة ١٩١٩ أصدر الدكتور  
« وايزمان » الزعيم الصهيوني وقتئذ تصريحه المشهور بأن  
فلسطين ينبغي أن تصبح « يهودية مثلما تعتبر إنجلترا  
إنجليزية » .

وفي سنة ١٩٢٠ تجسم إعلان بلغور في صورة الانتخاب  
الإنجليزي على فلسطين . وكان العرب حين قاتلوا في صف  
الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ضد الأتراك قد اعتقدوا  
أنهم إنما يحاربون في سبيل استقلالهم . فإذا بهم يتكبدون  
بالانتداب الإنجليزي والفرنسي بدلا من نيل استقلالهم . وبذلك  
محاولة للتحكم في الهجرة اليهودية ، ولكن الهجرة غير المشروعة  
ظلت في ازدياد من طريق مكتب للجوازات المزورة في برلين ،  
فازدادت عداوة العرب ، ووقع شغب وحادث اضطرابات  
وغرقت أحكام عرفية واستمر الكفاح الوطني للحصول على  
الاستقلال .

وعند نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن الوطن القومي  
اليهود قد تحقق في صورة ذاتية ، ولكن تعداد اليهود كان قد  
قفز من ٥٠٠.٠٠٠ إلى ٦٠٠.٠٠٠ ، وكانت حكومة الانتداب قد  
منحت اليهود سيطرة متزايدة على مقدرات البلد الاقتصادية .

وكانت الصناعات الصهيونية تتمتع بحماية الحكومة ، في حين  
كانت القرى العربية تدمر لتفسح المجال للمستعمرات  
الصهيونية . وصار لليهود مستشفياتهم ومدارسهم ومنظماتهم  
السياسية ، وتمتعوا بمعاملة متحيزة من حماهم البريطانيين .

وكما كانت الحرب العالمية الأولى سببا في إعانة المطامع  
الصهيونية ، كذلك عاقبت الحرب العالمية الثانية الآمال العربية  
الوطنية ، وثبت أن الاضطهاد النازي لليهود في ألمانيا كان سندا  
قويا للصهيونية . . فتألفت لجنة إنجليزية أمريكية - ثلاثة من  
بين أعضائها السبعة من غلاة الصهيونية - زارت فلسطين  
في سنة ١٩٤٦ وأوصت في تقريرها بإدخال مائة ألف يهودي  
فورا إلى فلسطين ، وقد استعجل الرئيس ( الدمية ) ترومان  
تنفيذ ذلك ، مع ترك الباب مفتوحا لمزيد من التهجير مستقبلا .  
ولما لم يصل مؤتمر فلسطين المنعقد في لندن في سنتي ١٩٤٦ ،  
١٩٤٧ إلى اتفاق ، لأن ممثلي العرب في ذلك المؤتمر طالبوا  
بقيام دولة عربية ديمقراطية مستقلة في فلسطين ، أحييت  
« مسألة فلسطين » إلى الأمم المتحدة ، وخصصت دورة غير  
عادية للفصل فيها . وتحت الضغط الصهيوني الذي تؤيده  
الولايات المتحدة ، أوصت اللجنة الخاصة التي أنشأها الأمم  
المتحدة لشئون فلسطين بتقسيم ذلك البلد .

وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قامت الجمعية العمومية بـ

الأمم المتحدة المنعقدة في واشنطن بإقرار تقسيم فلسطين ، بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ وامتناع ١٠ عن التصويت . وكانت بريطانيا من الدول الممتنعة عن التصويت . وتجد في مذكرة ترومان كلاماً عن الضغط الصهيوني وعن « التكتيك » الذي استخدم للحصول على هذه الأغلبية الساحقة ، إذ كتب يقول :

« لم تكن ثمة حركات للضغط على الولايات المتحدة لم سبق لها مثيل من قبل فحسب ، بل إن البيت الأبيض أيضاً كان هدفاً لثيران متصلة من الضغط . فلست أعتقد أن البيت الأبيض تعرض لقدرة من الضغط والدعاية كالذي تعرض له في هذه المناسبة . وقد أزعجني وضائقتي إلحاح بضعة من زعماء الصهيونية المتطرفين ، مدفوعين بموامل سياسية ومستخدمين تهديدات سياسية . بل إن بعضهم قد وصل به الأمر إلى أن اقترح علينا الضغط على الدول الكبرى كي تصوت في صالحهم عند انعقاد الجمعية العامة » .

وكذلك صرح « روبرت لوفيت » نائب وزير الخارجية بأنه لم يتعرض في حياته إطلاقاً لكل ذلك الضغط الذي وجه إليه أثناء المراحل النهائية للتصويت .

ورحلة التقسيم التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة أعطت ٦٠٪ من فلسطين — بما في ذلك أحصص المناطق — لثلث السكان وهم اليهود . أما المليون فلسطيني وهم كل سكانها تقريباً فقد

انتزعوا من مواطنهم وجردوا من أملاكهم خلال الحرب التي نشبت بين العرب واليهود على أثر ذلك القرار . وكل ما تبقى من أرض فلسطين العربية على الضفة الغربية لنهر الأردن ضم إلى شرق الأردن على الضفة الشرقية من ذلك النهر ، وبذلك قامت المملكة الهاشمية الأردنية . والشريط الضيق المتأخم لساحل البحر الأبيض والبالغ طوله ٢٥ ميلاً وعرضه ٥ أميال ، أو هو كل ما تبقى من ولاية غزة ، إحدى ولايات فلسطين الحرة ، قامت مصر بإدارته ، وقد منح الرئيس ناصر في سنة ١٩٦٢ تلك المنطقة دستوراً للحكم ، ولا تزيد هذه المنطقة على أن تكون معسكراً فسيحاً للجائنين .

ومن بين المليون من الفلسطينيين على وجه التقريب الذين فروا من بلادهم نتيجة للإرهاب الإسرائيلي — الذي من أمثلته مخبحة ( دير ياسين ) في أبريل سنة ١٩٤٨ — أو الذين طردوا من بيوتهم — ( الأمر الذي يكره الصهيونيون برغم الأدلة الدامغة ) — من هؤلاء المليون يعيش أكثر من نصف مليون في أسوأ حال بتلك المعسكرات التي تهدها الأمم المتحدة بالمعمونة منذ أواخر سنة ١٩٤٩ . أما الباقون فقد استوعبتهم بلاد مضيفة . ولكن هؤلاء هؤلاء جميعاً يطالبون باستعادة وطنهم لإعادة إسكانهم . وما من واحد منهم ، سواء في المعسكرات أو في خارجها ، تلقى « بنسأ » واحداً على سبيل التعويض عن بيوتهم وأراضيهم وأموالهم التي استولى عليها الإسرائيليون !

وفي كل عام تعيد الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة تأكيداتها لحقوق عرب فلسطين اللاجئين في العودة إلى بلادهم . أو في التعويض الكامل إذا لم يرغب أحد منهم في العودة إلى حيث سيكون مواطنًا من الدرجة الثانية في دولة يهودية . ولكن هذه القرارات لا توضع قط موضع التنفيذ . بل إن مسز جولدا مائير وزيرة الخارجية الإسرائيلية أعلنت على النقيض من ذلك بصورة قاطعة أن « سياستنا لم تتغير » فنحن لن نقبل لأجلاً واحداً ! » .

ولقد قسمت بلاد أخرى ولكنها بقيت بعد التقسيم محتلة بكيانها ولها وجودها ومسمياتها على الخرائط ويسكنها أهاليها . أما فلسطين فقد انقطع وجودها من حيث هي اسم ومن حيث هي بلد . وانقطع كذلك وجود الفلسطينيين من حيث هم أمة . إنه عصر التشتت الفلسطيني .

## الكتاب الأول

### الخروج

#### - ١ -

كانت درجة الحرارة في السهل الساحلي أكثر من مائة درجة فهرنهايت في الظل - ذلك الظل الوزيل الذي تلقيه أشجار الزيتون ، أو ظل الصخور الأحمر . غلوا مغطى الأرهاب لما استطاع أحد أن يسير في تلك الحرارة فوق تلك الأرض . مكالكتاب الإسرائيلية تطرد الناس بعيداً عن الطرق ليوغلوا في البرية بين التلال الجرداء التي لا نهاية لها .

والأرض رملية لا تطبق القدم العارية أن تمسها . أرض قوامها الرمال والصخور والحصى الرمادي والحسك . إنها أرض منهوجة تنقلب إلى تلال متتابعة لا تليث أن تذوب في سماء استنزفت الحرارة كل ما فيها من الألوان . فالمنظر فسيح يمتد إلى ما لا نهاية في جميع الاتجاهات . وبرية الأردن الواسعة تفص الآن باتاس معظمهم من النساء والأطفال كأنهم الجيش المشتت يتعثر فوق الصخور ويشق له طريقاً بين الحصى ، يرتقى الروابي الرملية في إعياء وقد استنزف جهده العرق ، يسقط ليقوم ويقوم ليمسقط مرة أخرى . والنساء محتشقات أطفالهن يسحبن العجاثر ، والعجاثر يتهاوين على الأرض فيعجزن عن النهوض . ولكن الجووع الراحنة لا تكف مع



ذلك عن التقدم . يستحث خطاها الخوف ، تحت وهج الشمس بمعنى الأبصار . يتقدمون بين الصخور لأنهم إن لم يتقدموا قضى عليهم بالموت من ضربة الشمس أو من العطش أو من الإعياء !

وهم يشعرون على الدوام بالخوف من تلك الطائرات المدنية السوداء الصغيرة التي تطير على انخفاض شديد بحيث يستطيع المرء أن يرى من فيها من الرجال ، تحوم فوق رؤوسهم كأنها الطيور الجارحة ، على نحو ما حدث في الليل .. في تلك الليلة الأخيرة المروعة في ( اللد ) .

لقد ظل « انطون منصور » يتذكر إلى ابد طويل صوت تلك الطائرات الغريب ، وأنه لصوت يختلف عن صوت أى طائرة أخرى . ويذكر الخوف الذى اثارته ، وأنه لخوف يختلف عن أى خوف عرفه في سنوات عمره الاثنى عشرة . إن شئنا في رأسه بدا له أنه يتفجر مع ذلك الصوت ، ثم تدفق الدم بلا انقطاع من أنفه . وفي البداية توقفت أمة عن السير وحاولت أن توقف التزيف . ولكن بعد قليل لم تبق لديها بقية من الطاقة فالتفتت برأسها وتطلعت اليه ولم تستطع أن تتكلم . فلم يكن أحد ينظر إلى أحد أو يكلم أحدا أو يصنع شيئا لأحد . لأنه لم يبق لدى أحد منهم سوى الاصرار على الحياة ومقاومة الموت الذى تفرضه عليهم الحرارة الشديدة والإعياء والظلم الممك . فليس هناك مجال للتفكير ، بل المجال كله للخوف . ولا مجال للعاطفة ، بل المجال كله للتعاية .

وكان « انطون » يتلفت بين الحين والحين لينظر إلى اسمه كى يتأكد أنها لم تزل هناك . فمن السهل أن يفقد المرء أى أحد في ذلك الحشد من الزحام . وشمة أطفال يتخطون بين الحصى وهم يصرخون لأنهم فقدوا ذويهم وما من أحد يلقى باله إليهم . فإذا تعلقوا بأحد ياكين منتصبين دفعهم بعيداً عنه . . حتى النساء كن ينظرن إليهم من غير شفقة . ورأى انطون وهو في شيه دوار امرأة تلقى فجأة بالطفل الذى كانت تحمله إلى بطن حفرة حيث استقر صارخا . وعضت المرأة في طرفها قدما . فاجتمع يسرون إلى الأمام والشمس تنهال عليهم بشواظها تريد أن تقتلهم ، والطائرات السوداء تحوم كالمستور تربص الفرصة للانتقام من السماء التى صهرتها الحرارة ، والأرض التى لا ترحم ولا تلين تعكس ما تلقاه من حرارة الشمس وتصلبهم به في وحشية .

كان الجميع في طريقهم إلى المدينة الجبلية الصغيرة ( رام الله ) ، التى تبعد بضعة أميال عن القدس . ولكنهم وقد أبعادوا عن الطريق وطوح بهم إلى جوف البرية لم يعودوا يبصرون طريقهم ، وكان أقلية من صغار السن هم الذين يدركون الاتجاه الصحيح ، أما البقية فكانوا يسرون صوب الشرق خبط عشواء . فكل ما يعينهم أن ( اللد ) ينبغي أن تكون من خلفهم ، ( اللد ) التى رددت شوارعها هذا الصباح أصدااء مكبرات الصوت التى أذاع بها الإسرائيليون المنتصرون أوامرهم إلى السكان :

— اخرجوا ! اذهبوا إلى الملك

ومع انطون كان يسير غلام أصغر منه سناً بقليل هو ابن خادم ضيعة أبيه . كانا يمشيان ويد انطون اليمنى قابضة على يد ( أمين ) اليسرى . ويداهما معا مرفوعتان إلى كتف أنطون بحيث يظل الغلام الأعشى ملتصقا به . وقلبا كانا يتحدثان . ولا كان أحد منهما يشكو أو يتذمر .

أما « بطرس منصور » - والد أنطون - فكان يسير مع أخيه فريد ، وكلاهما من ذوي الوزن الثقيل ، لم يالقا السر أكثر من بضع خطوات إلى سيارتهما ، فلقد كانا من أهل الثراء ، وكانت حياتهما على الدوام سهلة هينة ، من الناحية المادية على الأقل ، ومن ورائها سارت زوجتاها : « ماريان » زوجة بطرس الإنجليزية ، و « ماجدة » زوجة فريد ، وابنتها الكبرى نادية . وإلى جوارهن كان طفلا نادية الصغيران يتعثران ويبتكيان ويشكوان بلا انقطاع من التعب والعطش . وكانت شقاھما قد ابيضت كأنها عليهما طبقة من الثلج . فكانت ماريان وسلفتها تتفانيان حليهما على فترات قصيرة وهما تترنحان وتتعمران فوق الأرض الصلدة . أما نادية فكانت تمشي خائضة الرأس غير مكترثة بمذاييبها ، منطوية على جحبيها الخاص . ولكم تمت لو كانت مسلحة كي يتسنى لها أن تخفى وجهها خلف نقاب .

منذ بضعة أيام احدثت الكتلاب اليهودية بالرجال من جميع الأعمار واعتقلوهم في مسجدي المدينة ، وكان زوجها « نصرى » من بنينهم ، وكذلك أبوها وأعمامها وأخوالها وأبناء العم والخال وأخوتها . وبالإمسا أطلق سراح أولئك الرجال ولكن نصرى

لم يكن بين من أطلق سراحهم ، لأن جميع من هم في مسجون التجنيد قد أرسلوا إلى معسكر للاعتقال . هذا بالنسبة لمن كانوا في المسجد الكبير . أما الثلاثمائة رجل الذين كانوا معتقلين في المسجد الصغير فلم يفرج عن أى واحد منهم إذ حدث منهم شغب صغير أخذ بفران المدافع الرشاشة . وتقرر عدم الإفراج عن أحد منهم إطلاقاً .

وفي البداية كان من رأى جميع الرجال المقيمين في دار منصور التوجه إلى المسجد الصغير لأنه أقرب إلى الدار ، وبذلك يتحاشون اختراق المدينة والتعرض بالجنود الإسرائيليين من الجنسين . وكان منظر النساء المجندات غريباً وهن يحملن بدافع شقين وقد ارتدين سراويل قصيرة تكشف عن أفخاذهن البضة العارية . ولكن منصور عارض فكرة الذهاب إلى الجامع الصغير تاللاً إن الأفضل الذهاب إلى الجامع الكبير والنساء هناك قرب الأبواب ، لأن إشاعة كانت قد سرت بين الناس مؤداها أن ثلاث سيارات مسلحة تابعة للفيلق العربى ظهرت على مشارف المدينة ، ومن المؤكد أن هذه السيارات ستتلوها قوات مسلحة من ذلك الفيلق ، وسيكون الجامع الكبير أول مكان يحررونه . ولما كان بطرس رأس الأسرة فقد أوصى الجميع للكلالة باحترام وذهبوا عن بكرة أبيهم في صحبته إلى الجامع الكبير .

وقبل عودة الرجال حضر جنديان إسرائيليان إلى « دائرة الخير » - وهو اسم دار منصور - في طلب الماء . ومن وراء تضيئة نافذة في الطابق الأول اعتصمت القنن اليمامة نادية

وخادمة تدعى « رندا » تقوم برعاية شئون الطفلين ، ومعهم سبع ساء حريات ، اثنتان عرع شديد ، مدال ، ديه وحده في نفسها الشجاعة كي تصبح بالجنديين :  
— ماذا تريدان ؟

ونظر الجنديان الشابان إلى فوق وضحكا ، ثم أجاب أحدهما بلغة عربية ركيكة :

— لا نخفن . نحن من « الهاجاناه » ولسنا من « ثقتين » .  
لا نرمي شيئا سوى الماء . الحشر شديد ونحن صغار  
تعطش علينا !

وقال شيئا للجندى الآخر الذى ضحك ثم امرل الأتس بمدح  
شئ من كعبهما وأسداهما إلى حدة شجرة خروريس  
في مواجهة مدخل الدار ، ثم ألقت الحصى الذى كرتة حصى  
الماء صوب النافذة ، وقال :

— اس ترين . لسنا مسلحين !

وكن شابا وسيدنا انفسمة صامه كشمسهم ، فصار .  
ولم ترد مائدة على انفسامه باستسامة ، ولكنه قال  
« سارسل إليكما بماء » . . وأمرت خادمتها « رندا » أن  
تجلب إليها إبريقا من الماء الملوح . فقالت : « يا سيدي ،  
حياة »

— خذى الماء في إبريق من الأباريق اللؤلؤية الصخر .  
وخذى أيضا كوبين من البللور . يجب أن تربيهما أند شبع  
متحضر ! لو كان بطرس هنا لكأنت هذه مثبته . سيجب على  
كل حال ضيفنا .

ماجنجت نادية قاتلة :

— ولكنهما من الأعداء !

— إلا أنها استضافتا نفسيهما في دارنا . ثم هما شخصان  
نسر عليهما إمرات المودة .

وذهبت رندا فأنضرت الماء المثلج في إبريق من البللور  
وسعد إلى حور كسين من الطلور عوق صيته من الفصح .  
ررر خدمته جيس عوي السلم لرحمى العريض ثم خسار  
سب مدح برصوم بالفسساء إلى الباب الأمامى . وعدم  
سب الباب كان الجنديان حالسين على سياج شرفة المدخل  
خسيس . عشارف لهما إلى الصيفية التى وضعتها على  
معدد داخل باب مباشرة ، فوجه إليهما الجندى الذى كان  
سب سب . عكب الشكر باللعنة العربية . أما الآخر فتقدم  
إلى الأمام وقال لها بلغة إنجليزية « ختباء » :

— هالو ابنتها الصفاء ! اتكلمين الإنجليزية !

وكانت رندا في الواقع تتكلم شيئا من الإنجليزية . أسى  
تعلمتها وهى في خدمة آل منصور ، فهرت رأسها . وقال لها  
الآخر ، عن رميله :

— إنه لبناتى أمريكى ولا يعرف العربية كثيرا .

ثم صب كأسا من الماء وتجرعها وصب كأسا أخرى .  
أما رميله فشرط نصف كأس من الماء ثم طرح الكأس إلى  
لأرض عنطارت شظايا البللور في كل اتجاه وراح يضحك في  
عصية وهو يقول :

— إننا نصنع ذلك في حفلات الزفاف اليهودية ، غيو عمل رمزي !

ولم يسلم رندا من ذلك . وسكبها أحطت متراحه الى نور ..  
وقد امرعب لهجه وحده . مسده لسحظم الكاس الشبه  
فهد يديه وقبض على معصها وجذبها إليه ، قائلا :

— هيا يا حسناء ، هيا يا حسناء بالمرح

— مصرخت الفتاه وناقضته معتق ، إلا أنه كانت ثمة حجرة  
للاستقبال يحمي إليها باب في السور عده بالمرح  
الحجرة وأغلق دونها الأبواب ، وصحك الجندي حرد وسب  
نفسه مزيدا من الماء .

وأنت صرخت رندا سلاه وهرس وشباب حرد ..  
راس السلم .. بينما صاحبت ماريان الإنجليزية في حدة :

— ما الخبر ؟ ما الذي يحدث ؟ أين الخادمة ؟

فصحك الجندي ثم قال :

— إنها بسبيلها إلى فقد بكارتها كما يبدو من صوت ..  
وكانت ماريان قد انفجعت تنزل السلم في غضب أع  
وتسعتها نادية . وكان الجندي الآخر في الانتظار عند نو  
السلم فاطبقت ذراعه حول نادية بمجرد نزولها ، وضحك  
صحكة البصر اد وحده ناسل وتصريح ونريس . وقد نس  
ذراعاها إلى جانبيها ، وكانت قبضته في متني الشدة ، فرف  
مدى الخطوات القليلة عبر البهو إلى الحجرة ، والتفت ..  
فوق ظهره عندها وضع يده على مقبض الباب وقال لماريان



وقد أفرغتها لهجته ومسته ، مسده لسحظم الكاس  
الشبه . فهد يديه وقبض على معصها وجذبها إليه



— كل شيء على ما يرام يا اماء . في وسعك ان تنصري  
وبعد ذلك صققي الباب في وجه ماريان . . وانذري مفتاح في  
قلمه . . وارتفعت صرخات نادية وصيحاتها قطعت على  
نحيبها !

\*\*\*

كانت رندا تسمى بتناقض ومثقة خلف نادية والمرأة  
الإجليزية . وكانت تسمى معها خدميات اخر من معمل في  
مدمور وبنيامين . واماني وسبيون من وو إلى تلك الصدا  
في لاسم واللبالي الغلاب الاخيرة . وبعد سبع عتد من ان  
التيهية تملك البيت لسف بعريق يسمى داره لحر  
ان اعقل الرجال ، قرابة مائة شخص . .

وكانت لعمدة تعاني من الصدمة وسبها النوار وهي سا  
أشبهه بجنون مدعوق . غارقه في معاسته إلى درجة لا  
ان تشعر معها حتى بالحرق أو العطش ، وقد استحوذ عليه  
لربع التي سرحه تعجز معها عن الشعور حتى بالخوف

وكيف المرأة الإنجليزية عرسة مثلها للزعب . مدعيرة  
سيدة الدركان في وسعها ان تلعب امر مادية إلى رندا بامر  
الماء إلى هادن الحندين السوديين . كان في وسعها ان تبه  
ذلك وزر سبي اندر مقلته لأمواف في وحبيها . . آخر . .  
حربس في هذه الحالة ولا شك أن سبنا تفل الباب مائرد من  
ويصعد نذر . . ولكن في تلك لحاله على لأقل . حتى لو  
اغتصاب مادية وريدا . . لم تكن لتتحققا شحبت به مسمومة

نبية مما تشعر بوطائها الآن على كاهلها . ولقد عاد بطرس  
معدنق من الجامع من دون « نصري » وقد حطمته أنباء المذبحة  
الوحشية التي وقعت في الجامع الصغير ، ولم تكن روجه  
من حيرة بعد حدث عاديه وللعاديه . ومريد أيضا لم يكن  
بلغه النبا المزلزل !

على ان بال « ماريان » مشغول الآن إلى أقصى حد بشأن  
وخب بطرس . به كيف يستطيع رجل في مثل سبه وقد حاور  
سستن . لم تلبث السمير حتى على صغرى الجسد . . مصدق  
في القتب . ان نعل حب بعد ساعات من امتعش المسير فوق  
هذه الأرض الوعرة القسسه ، في هذا البحر الحمر . ومن  
غير ماء ؟

كان يشي على غير هذين . ويصرب في طريقه حط مشوا  
سبنا سبي لمسبون حونه من الرجال والنساء ، مسجع قديم  
آخر من غير تفكير ، وبطريقه اليه . لا شيء إلا لانه  
. مدصر له من ذلك . والا فليس أمامه سوى السموط على  
٧ من بين كس لخصي لرمادي اللون وسباب الخمدست  
شباك . حيث يسمي نحه . . مثلها قصي كثيرون عده نحسب  
عنينا عجزوا عن الاستمرار في المناضلة ، فخرؤا على الأرض  
لهفتر . سوي الأمواد في ذلك لطل المحمي تحت اصحور ،  
. في خيلة عارصة . حمائل الربتون المنائرة بين الأحجار .  
وهم يثنون :

— ماء ! أعطونا ماء !

Looloo

وكان الصداك كبيراً جداً استأثرت بطرس من قبل أن يطردوا جميعاً إلى البرية . ولم يكن منهم من مقتنيات الدنيا إلا خدات لى يرتدون ، بعد أن جردوا من ملابسهم وسميت حرمة . بل ومن خواتم الزواج ، لقد بدأ ظأء في المسجد ، وكان بالمسجد ماء في المصاة حيث يتوضأ المؤمنون من صيريج نسل أن يؤدوا الصلاة ، وكان الحرس لاسم انطون سوع في بيت الصيريج وهم يفتقرون وبيوتهم بالأسطخيس .

— هيا تعالوا واشربوا ! وستجدون مذاقه طيباً !

وما رجع إلى بيت وحده به ثلاثة جنود ، رطلين وإمرأة . واقفين بحنف سبيرته عند رأس الممر الوصول المغروس شحير يدخلوا البيت إلى المصلى إلى داره . وأصب لمرأة شابه وسبعه ذب تحسن قويس العطره . معها اعتد شتمت سيمس يطلع جده إلى المصلى . عرس في حارة معه سكر وسالته بلحه المسة واصحة حسد في مصقب إنطيرى

— انتكلم الإنطيرية ؟

فلما قال ليا نعم ظلمت به مانتج السارة . عسب ليه . وركب الجنود لثلاثة سبته ، وأظلت عليه المرأة الحندة من النافذة المجاورة لقعد السائق لتقول له :

— من الخير لك ولاسرتك أن تغادروا الدار بسرعة ، وإلا

فلن تساوى حياتكم جميعاً فلساً واحداً !

وضحك رفيقها . وعندئذ استطردت مزهرة بوقاحتها :

— حتى ولا ثمن الرصاصه !

ثم بصقت عليه . . وأطلقت الثلاثة بالمسيرة .

أما بطرس فوجد من ربح سلمه مدخل بيته يريد يسرد كبره انحصار ومن سبب من أشحر الحوروس . وهي وقته طالما وقتها باعتباره رب البيت المضيايف يودع ضيوفه . ثم دخل البيت في تناقل وإعفاء . . وبدأ الاستعداد للجلاء .

وأن المفروض أن يقتنى الحصول في المدينة على سيارات خاصة ينتظم لهم راحة . . وحتى أن لم يحضوا في شخصون على أمر من سيرة ومادة فقط فقد كان في وسعهم أن يستغيثوا راحة لهم ليعود منها بما سعى لنفسه .

ويكن عهده وصلوا إلى المدينة لم يجدوا بها أي أدوات من روافع من نوع . . خالطات العسكرية لإسرائيل بعد استولت على جميعها والعربات المرودة بكثير الصوب تحت شوارع مدته من سببها المدينة في مدى نفوذ سابعه ؟ . ولذا لم يشورع عاصه بخليط من أحسم من لاس . وكأنف الذهب في كل مكان . وقصد أسكر الحبيود أنصر . بعد سكر سبب لاطلاق النار لأوهى الأسبب ، أو لغير سبب على الإطلاق ؟

وكان شبه مدته من جنير والفتاب في أرباء عسكريه يتحولون هنا وهناك حاملين في كل يد من أيديهم تلوا مهلوا يساعتي معصم وإتلاز أحرر وسائر أنواع . . . لها هو جندي قد شهد أمامه في الساعات

اللائذات بهاب أحد الحوانات ويترك أرار بصلوته وبشرح في الثبول تحت أنظارهم مباشرة . ولما أنصره زملاء له من الجدر - يصبح ذلك البصبع القنبح أحنوا يومون بغير راب سب - بوجهونها إلى النساء المحجبات المحتشمات !

وكان بطرس وهو واقف على غامضة أحد الشوارع مع روحته ماريان واسه بطون ، وأعضاء آخرون من أهل بيته . قد رأى ذلك الحادث الشائن عتقلجت بده اليمنى على العنصر الفضى لعصاه التي يحملها على الدوام وقال :

— إنهم يأتون بكل ما من شأنه أن يذلنا !

ولكن ماريان وضعت يدها على ذراعه وقالت له :

— انهم لا يعرفون خيرا من هذا . هيا بنا ! فلعلنا نظهر بشيء نركبه ونحن في الطريق .

ولكن لم تكن شبة مركبة ولا دابة ولا طريق .

لا شيء سوى البرية ، وحرارة المسار إلى أحد شبد أولاد .

## - ٢ -

ولم يدرك العسمسون على وجه التحقيق المدى الذي سيم يعضو عليه على الوصول إليه في إدلائهم . الا بعد ان وجدوا أنفسهم في البرية . فهناك جرد هذا الشعب الألى لكريم من كل خصائص الإنسانية . وثمة ظروف لا يحتفظ المرء فيها إلا بشيء واحد هو مصممه على البقاء . وفي تلك الظروف - يتحلى الأمهات عن أطفالهن لظننهم نبات آوى ، لأنهن يحرس عن حملهم حموا أخرى . . . في هذه الظروف عينها بر - لشس يومه بيسر ليموموا . ويقدم الرجال والنساء لم 'احشاء بولهم وبول طعامهم . إنه الماء ! إنه شيء يرضون به مع عيب الحمة وشماهم 'المشقة التي انتشرت على حواشيها إضرابات من الملح بضاء . مع ارتقاء الشمس في كبد السماء .

ودأت مره . سددت حطس بطون وأمير استبريجا قسلا من لطل اليريل الذي تلقه حميلة من اشجار الرمتون اسطرا لحافى بقية 'أراد لأسرة بهما ، قال العلامة الأصمى « أمس » لمقيقة :

— توجد صهاريج رومانية في هذه البقاع . وفي بعض الأحيان توجد بها بقية من الماء . فإذا حثت إلى مجموعه من الصخور فملك أن تنقب منها . فحينما كنت مثمتا فخر عني كان من عادتي أن أذهب مع أبي إلى بديلة لدرعي .

الماعز ، وكذا نجد مثل تلك الآبار بين (اللد) و (نعلين) .  
وتوجد أيضا أشجار الخروب . وترون الخروب طوله لزيد  
الطعم ! ألا تحبها ؟ . ألا صبرا يا سيدي ، فعدن من  
إلى الوادي سيكون المسير سهل بكثير علينا لأننا نستطيع أن  
نسير في الوادي على امتداده إلى أن تصل إلى القريه  
حالك لأن يا سيدي ؟

— قدامى تؤلمنى بشكل مقلع . ولست أدري متى في  
وسعى أن استمر في المسير وأنا أحمل سكرة حلى ؟

— لماذا لا تلتقي بها عن كاهلك ؟ لماذا لا تتبدها ؟

— إنها أفضل حلة عندي . وإن أتت بك من حد  
ارتديه عندها اصل إلى ( رام الله ) . والحو في رام الله ماره  
في الشتاء جدا كما تعلم .

— إن أثناء عمومتك هناك سيدوك بكل ما سمحك .  
منذ الذي بدري هل ستقول همسك في ليلنا ؟  
الحش العراقي سيحبهم إلى الفلق . تترس لتجبر نفسك  
وسيلقى باليهود إلى البحر ! إن شاء الله !

فأين انطون على كلامه ، قاتلا بلهجة آليه :

— إن شاء الله .

وكان حشد من الناس يستريح معيها تحت ظلال أشجار  
الزيتون ، مستلقين أو منبطحين على الأرض الصخرية ، أو  
جالسين ومثيرونهم إلى حذو أشجار - مخدسين في شروط

الأمق الرتيب الرخب من الأرض الحمراء والحصي الرمادي  
و ريسون . بعض . . وحدود سلا الصحريه الحمراء التي  
تسير بين فلسطين يقف عندها البصر ليحدها طبقات مسوق  
مستطبت سبي إيليا : السيس لم يرمى إلى البحر ، كما به بحر صيد  
أمواجه !

وكان ثمة عدد من الأطفال الباقين على قيد الحياة . وإمراد  
عجوز لا يكف عن الابن في طلب المساء . وجماعة من السيد  
حاسب شرمصا ، محضب الوجوه لا يمكن ، ولكن مدب  
الخشنة تتم على حقيقتهم بوضوح فهن وفيات . . وكانت  
تسبب حزن مرده سانه خالسه وعلى صدره طفلها لذي ناب .  
يحلق فيه نظره خالية من كل تعبير ، وطرحتها البيضاء  
سدله على نصف وجهها .

ما من أحد في الحقيقه كان يلقي باله إلى مسواه . مثل  
مشغول بنفسه . وعلى مدى الأفق زرامات من الطلق . ألوف  
من سس سم من ليعر . كل واحد منهم يحرك سدر ريمه  
في اتجاه واحد صوب الشرق . ووجههم إلى الأردن .

واحد واحد واندا انطون وسير امراد آل منصور إلى تلك  
المجموعة من أشجار لرسون ، وارتقوا في الظل لحار . وظ

حسبي يعلق إلى أمه . وكانت أمه أصغر من أبيه بعشرين  
سنة ونحوى منه ستة سنه . ولكن خلفه كله كان

عنده إحسان من أمه على رغم سنه وعلمه قلته إيسس  
لا ملحقه الفتساء . فطررس آل منصور من أسرة فلسطينيه



مروعة . وأبنته يؤمن بانه رجل عظيم عن جداره ويسمعون  
وعطباء الرجال لا يستطون على الأرض ولا يموتون .  
قد مهانون ويذلون ، وتفقتب املهم على يد الأعداء ، وقد  
يطردون إلى البرية . ولكنهم إذا ماتوا بسبب ذلك فمعناه أنهم  
يقلو البرية . ولتقيم وكرههم لا سمحوا لولا  
من الرجال بتقبل الهزيمة !

كان هذا التصور لأبنة العربي يريح أعصاب أنطون . أما  
أمة الإنجليزية فهو يشعر أنه لا ينتظر منها أن تكون حائرة  
لهذا المعوان لحسد ذلك ( زبحه المعونه .  
في حال بالغة السوء عندما غادروا البيت . ولذلك ماله  
حنود ( الهاجاناه ) الذين وضعوا أيديهم على أبنة عمه  
نادية والخادمة رندا .

إنه يجهل تفاصيل المسألة ومحور الموضوع . ولكنه يعلم  
أنه كان له دور في هذا الحادث . وفي ذلك الوقت  
كانوا يكرهون ويتجنبون . وعندما غادر الحنديان البيت كان  
عليهما أن ينفلا عنهما . فمضى بعضهم نحو حوشهم  
سظرفهم . ومرت نحو خمسة عشر يوما فوجدوا إلى شهر  
مستدسمها وأشربوا إلى بلادهم . وبدأ في لحظة من  
اللحظات انبعاثا فاعلان ذلك لا محالة !

لقد كان الأمر كله مروعا ومرعجا . وعندما سمع خبر  
بالمرار انهارت أمه . وكانت حائبا في منبر عطية . كذت  
كانت حاله نادرة ففعله . أما رندا فلم يكن لها هم مسوى  
البكاء .

وشكت أمه من صداع شنيع أصابها بعد انصرام الجنديين .  
حتى لرسم من هذا الصداع شرعت في اليوم التالي في السير  
في ( رام الله ) ، فوق أرض لا يحلم بشر فيها هذا الرعاية  
في حاف مقدمه . وبعد مدة من السير حطت تمشي مشقة  
بعض مسيئة . شئنا في ذلك شئنا معصية . وقد تقتل نحوه  
عندما راته يصاب بنبوة أخرى من نزيف الأنف .

أنه لم يحق عليها بسبب ذلك ، فلم يكن في يدها أن  
تصنع له شيئا ، بل لم يكن هناك ما يمكن أن يصنعه أي  
إنسان لأي إنسان . فكل واحد مشغول بنفسه . وهذا هو  
الحوال الذي عرسته أجيالهم عندما صردوهم إلى الطريق  
ضلوا ويتمذبوا كالبهائم في تلك البرية .

في ذلك اليوم لم يردوا . تعرضوا علينا العذاب .  
يرون أن ملو . وفي وسعهم أن يفعلوا ذلك إذا ولكن ليس  
في وسعهم أن ينفوا . فمضت هذه العكرة الأسمه تستد روحه  
في ذلك الوقت . فمضت ذلك خلفهم الطائرات السوداء  
وهبطت إلى ارتفاع منخفض ، فلم يجد شيء  
في ذلك الوقت . وأمرع والحب المس من الموت .

وبعد تمامه انصرام حصار كمين من هؤلاء الناس لقوا  
في ذلك الوقت . وكلمهم من مسكن والامض الصغار  
من لا حول لهم ولا طول . وكانت أمه تدنو في حالة فظيعة ،  
سبها هي أيضا معرسته لسان . . . وها هم أمه قد رثمت بحور  
في . ولأول مرة منذ غادروا البيت .  
وحس في الليالي الأخيرة القطيعة عما كانت الحياة قبل



وكانت «مجددة» روحه تريد أمرًا وسببه تمل من بعده .  
وقد جلس على العشب بجوار «مادية» تحول إلى عربة عن  
الطملين اللذين راحا ينتحان من شدة الظلم والإعياء . وكان  
أكبر الطفلين فتاة صغيرة في الرابعة من عمرها رمت في  
الأرض الوعرة وأنشأت تيكى في تعاسة ملحة .

ونظرت ( «مادية» ) بئس صوب سلفتها وقالت لها :

— لمست أدرى كيف سيهكنا أن نصل بالطفلين إلى هنا

فرفقت ( «ماريان» ) عنها قائلة :

— لم يبق أماننا إلا ساعتان .

وكانت تعلم أن المسافة قد تمتد إلى ثلاث ساعات على  
الأقل ولكن لمع ساعات كثر يبدو «سبل نك» - ساعات  
ساعات . . . . . وحس تمنى «السبا» يكون قد أخرجت  
بمن الممكن عدله أن يجد الإنسان القوة على قطع المسافة  
الباقية . . . . . أن حارة النهر سيكون هدفه بعد  
من شأنه أن يساعد كثيرا على تخفيف الحالة .

وقال ( «أنطون» ) في أمل :

لعلنا نعيش في طريقنا على حشيرة من الحشيرة  
له مائة . . . . . «ماريان» يقول إن بعض هذه الحشيرة  
هذه الأنحاء ، وقد يكون فيها ماء .

وتسامت ( «ماريان» ) في لحظة بانسة . . . . . كيف يمكن  
استخراج الماء من باطن تلك الصحاري العميقة حتى  
وجدوا صهريجا منها غير جاف . فالألم الموجود بها لا بد

أن يكون على بعد مسحيق » . . . . . بيد أن ما في صوت الغلام من  
للهم - وإننا للهنه شامة ممتعة للعالية - جعلت غلبها  
لا يطاوعها على تنبيط همنه ، فقالت :

— علينا إذن أن نفتح عيوننا جيدا لنقتطع مواضعها .

وكان من السهل على المرء أن يرتد إلى الخسائر وهو  
حائس هناك تحت أشجار الزيتون ، بعيدا من عملية الإهم .  
«سحق الروح المعنوية» . . . . . «وإنها القوى في سلك الأ» . . . . .  
الإحصاري . . . . . إن الظلم المستعمر لم يزل على حاله . . . . .  
وطائفة غدت أقل فظاعة بعد أن كلف الجسد عن الصليب عرقا  
هو مثل المحبوس في السلك «المليك» . . . . . «وسترأى النفس من  
لاحتكك الصنع الذي أصاب بالهيبات وعصفى من شدة  
مدره «مادام» لا يمكن حمله . ومع هذه الحالة من حسنة .  
«رأى» من الميرب «الوحيد» من الاستطاعة على أرض بيوت  
ضربة الشمس والعطش !

وكانت ثمرة راحة أيضا من القزع ، إذ انتفضت عليهم الآن  
فترة من الزمن لم يروا فيها حفيدا إسرائيليا ولا طائفة عذاره  
من خائراتهم . ولم يعد أحد يطاردهم ليؤغلو في البرية كما  
تطارد كلاب الصيد قرائنها . ولكنهم كانوا قد أبعدها  
مبه الكفائية عن طريقهم بحيث صارت يصعب سبل  
عديدة ، وليس أمامهم إلا الاستمرار في خوض البرية .

إن مجرى الوادى الصحري سيكون . . . . .  
سبها صلون إليه ، غلب حجاره أقدامهم و . . . . .

فليس ذلك الوادى إلا مجرى نهر صافى الحامى . ولكن - لا يستهان بها ، فهو طريق واضحة المعالم لا يضل من يصير فيها ، وذلك بتخلصهم من العرب على غير هدى . أمية عند سمرعون على أنزل يوم بعد - سنة ١٠٠٠ من المشى لا بد أن يصلوا إلى قرية ( نعلين ) ، وهى القرية التى لم تزل فى أيدي العرب .

كان يثربون يتولون ويذهبون . وبمهمه يسرعون ؟  
 و طرأ الحضور والخصى الأطلس . وأله نصر عرب -  
 مسخرة دابسة لا تنقطع ، والسبل المتواحد يزدحم بالناس  
 كرخام سوارع . ومن ههنا فى -  
 لدس بعدد الأول حق ، يبلغ بعدله من ذل  
 من طرأ حليط عجيب . عليهم رحل ولحس من يربس  
 القمصان البيضاء والبنطلونات ، وفيهم من يرتدون عرب  
 التقليدى ولعقال العرب . وعلم بسنة ومكان فى  
 حديث الطراز ، ومنهم من ترتدى زيا أسود أشبه بزي  
 الراهبات ، ومنهم من تلبس لرى مندسند -

الموصوف فى التوراة ، وهو زى طويل ضاف مثقل بالوشى  
 والرحيب . وعلى طوي . من يذى الفرح النقص على معنى  
 رؤوسهم . والمسبب ميه يرتدى لرى القمصان -  
 أو الرمادى وقد عصبن رؤوسهن بالغانيل . أناس من كل لون  
 وصنف ، فيهم القرويون وسكان المدن . فيهم -  
 اليسار ، فيهم المسلمون والمسيحيون . وما أكثر الآدمية  
 قمى كل موضع أطفال يحملهم أهلهم ، أو يجرون أقلامهم  
 ممسكين بذيول أمهاتهم . وكلهم صفار ، سود الشعر ، سود

العين ، وهؤلاء هم الحيل الصاعد من الفلسطينيين . جيل  
 يثبت بلا وطن ، وبلا ديار . وبلا مستقبل ، وقد كتب على  
 كثيرين منهم أن يشبوا فى مغبة المعسكرات وتعاستها ، بل  
 إن كثيرين من هؤلاء الصغار الأبرياء كتب عليهم أن يموتوا  
 عاجلاً فى البرية !

ول بعض هؤلاء ناس المتنبى التكوين لهم مسرب .  
 ( ربه الله ) - كما هو حال آل منصور - وهؤلاء هم  
 منصورون . وهم ثلة قليلة . وأقله مئة ألف من حبيس  
 أموال وممتلكات فى ذلك الجزء من فلسطين الذى أصبح الآن  
 يثرب . وأما أغلبية يثرب فلا يكون إلا الثوب النسيج  
 يثرب . وأما بالله الذى لا يعقل ولا ينم . والجميع قسماً  
 حلو . وأما الأرض التى كانت عائلاتهم تهتكها وتزرعها  
 لا يثرب . أما حبيس . أما حبيس رحلاً ومساء . أما  
 يثرب . نجه كل كفاحهم الآن لمقاومة الغناء تحت هذه  
 الشمس المحرقة فى هذا السهل الذى يحارونه بأقدام متورمة  
 داخل أخبية أبانها الصخور والأشواك !

إن هذه الأرض الموحشة لا يحسر الندو أنفسهم على السر  
 يثرب . يثرب لدية الشمس والبلد عطشا واعداً . ومع  
 هذا متحرف سوارجهم لأسماء معقود . وكر حذو دهب  
 مسجود . وحبب يثرب يثرب يثرب يثرب يثرب  
 يثرب . يثرب يثرب يثرب يثرب يثرب يثرب  
 هو الموت المحقق . وإرادة الحياة بلازم إلى حبيس .  
 يثرب الكروية اللاهثة .





مهي مذبحه للحمار والأطعاس الرصع الذين جعلهم مدب  
موق مستورهم ، وللشعر الذين لم يفتقو سعد لكلام الدين .  
تثبت بعد في الخطو على الأرض أقدامهم الصعير . .  
مذبحه الأبرياء !

كان من اليسر عليه ان يستعين بقوة إرادة حسديه  
للمسطرة على نفسه كي يتحمل ذلك العذاب البدني . واجد  
ان عذابه الجسدي كان من الشدة بحيث كان في كل ا  
على شفا الانهيار . إلا أنه كان يسي معناد وصلابه أن يموت ك  
سقف المدنة في هذه أسيرة من عذابه يسير بعينه بس  
ان يستهد رصيذا من أعزائه بسيرة في سيرة . . .  
المسير على نحو ما .

أما عذابه الداخلي ، عذابه المعنوي . عذابه العبد  
لم يكن لديه أدنى رهيد من القوة يستعين به على مواضعه .  
المعاناة التي كتب عليه أن يفرى لمواحيثها في الساعات  
الأربع والعشرين الأخيرة كانت أكثر من نصف كتابته  
المعاناة التي عاناها في المسجد الكبير ، وذلك الظلم الذي لم  
يستطيع أن ينقذ منه غلته لا في الليل ولا في النهار ، وبداءه  
أولئك الحنود وهم ينحسرون الصهريج ثم مدعونهن سباحرين  
هارئين للشرب من مائه ، ويحولون شبهه وس دورات له  
فلم انجاست بحابة النهار وقتل وطاة الحر لم يجد الرحيل  
المقتلون بد من قصاء ضرورتهم الحسديه لصق حذار  
المحقق بالمسجد وفي الأركان ، تحت أنظار بعضهم البعض ،  
تصارت الرائحة الكريهة شيئا خائفا للانفاس . يضاف إلى

« استولى عليهم طلول الوقت من الخوف والصرع  
« التحسن فمن يدري ماذا يمكن أن يحدث لهم في أي لحظة  
« شخصيات على حين غرة ؟ ومن منهم يدري ما الذي يمكن  
أن يحدث . . . أو يمكن ان يكون قد حدث فعلا - لأسرهم  
« ثنائهم ؟ وما معنى هذه الانفجارات المتقطعة التي تنسى  
عن إطلاق المدافع الرشاشة ، وان أصواتها لتترامى إليهم من  
خوف المدفئة . . ؟ !

وفي إحدى المرات طالت هذه الانفجارات في خيط متصل .  
« يعرفوا طيله الأمر عساه أطلق سراحهم في صباح نسوة  
ثم . . يعرفوا سبب أن عده الطلقت كانت إبداء بالمد  
« عساه في الجامع الآخر ، ذلك الجامع السذي كال ( فريد  
« حروب يريدون بالأس أن يذهبوا إليه ، والحواء في ذلك .  
ولقد أوشكوا أن يذهبوا إلى هناك فعلا .

ما لتدعفة المدلة ! وبأ للرعب المصمى ! . . ثم بعد ذلك  
صدر اليهم الأمر بالحرب « وإلا فلن تسوى حياتكم على  
واحد ! » . إنه لن ينسى ما عاش سحنة تلك المرأة الجسده  
وعى تطل عليه من نافذة مقعد القيادة في المسارة - سيارته  
هو ! - لتبصق وتنفث ذلك الغل المسبوم فيه ، لقد عاش  
عمره كله محب النساء وبكرهم ويجلهن - ويرى فيهن المثل  
« كبر المرأة وسوءه ولحسن ، حين في سطره مخلوقات سيد  
عظما ، عين الزوجات وهن الأمهات . ولكن ها هي امرأة في  
« سبه المصا تنصق له . . . لم يـم في السجود له . . .

حتى ولا من المرأة التي تركته .. وبعد ذلك بدأ حشد الآلاف  
القاسى في البيرة في حشر الشمس اللافتح . وبعثت شمسه  
وليو أبرهسة الصبارية في ذلك الحين على حلى . وبعث  
لطايرات الصغيرة اسوداء بنصر سليم ونصر على ارض  
متخفص جدا ، لتفقد القاس بالارهاب والفزع سمعهم  
الطريق ليوتلوا في البيرة ، ثم تطاردهم هناك يردو :  
البيرة اينالا حتى يصلوا إلى الجبال .

دعر وقرع . ولعباء للمقومات شديدة بعد صبح يرد  
على اوتك بسبب الآرد ، ورد . وبعثت شمسه  
لأربت الاشجار من سلوهم ونفث ريوسهم وارصهم و  
نكائير مادته . من حوا سمعونه بعد غرايمه الآرد .  
بل وما اكثر من سلبو منهم ارواحهم ذاتها !

وكان (نطرس) متسبب إلى المرأة التي كانت حاسه . ثم  
بعثت شجار لريتون وعلى صدرها قلب لى مـ  
عطشا ، مظلما فطن من قبل - أثناء المسير - إلى تلك المرأة  
الأخرى التي أطلقت صرخه صباريه وهي تضى بطاير كساده  
إلى قاع حمرة في تلك البيرة لمناحه بحر حجر . وبعث  
بعد شذرة على حمله حمود حجر . وبعثت شمسه  
الشمس في الحدة على المستوى لى مـ على ذهب بعث  
عداب الظلم والإعياء . وكان منسب لى مـ على المسير من  
الجنسين الذين نعدت قوتهم فتهاووا على الأرض ، فركب  
نوههم ودوهم ليوتلوا بعد أن مطلقوا القلفة الواحية من  
انفاسهم لأخرة حيث سقطوا . وبعثت شمسه حمود مادته



وكان نطرس متسببها إلى الز  
حاله من تك منه جت أشجار البئر

في سنة بعد هذه الحروب ، وقد سوت مشاهد من  
تحلات برومان الموحدين منهم المبرزين في الطب  
على عهد الأساطرة .

أجل ٦ كان (بطرس) يفتنبا للناس من حوله في جمود وعدم  
مبالاة بالذين يقدّمون منهم — رجالا ونساء — على كم راحل  
مدين: «اجتمعوا» عنها بوجه كى مشدود شرب الخمر ٦  
بمخيمون يصب في راحلتهم بول سموهم ٦ يقاسمونه عليه  
بمخيمون! «تسليمه بغير» من ذلك مسير ليس على  
الى دنسه مرادفا للحياة!

وكان منتهى أشد التشنج وأعنفه بروخته وهي تسبح في سماء  
العلم وأصبحت في مسدأها المشرق من حجارة التربة -  
ما كان مرتفعاً مقلداً من أبراج العباسية على مجاز -  
ما من شيء يستطيعه لها ورغم كل ما يكته لها من الحب والرعاية  
والإعزاز ، وكان هذا الإحساس بالعجز تنعماً من أقصى  
عناصر عذابه الداخلي -

وكان مقننها كذلك لمسر به السبق ليعقل وقد سمع  
على يد القلام الأعمى ، وخیل إليه أن تلك اللوحة الحجر  
التي ، لوحده الصالح ، للطلب في كل عهد الحبر ، من  
يدنه ، عزمه ، لحره ، ولعذب ، ولعجب ، وقد  
مفكر ، لأن كل امرئ كان مشغولا بذات نفسه عن كل من  
سواه ، مبصرنا للتضال في سبيل البقاء في هذه الحياة .  
من به أضواء ، مستحق وحده على الأمل أن يبقى حده من حرك  
الهلاك على غيره من حوله ؟

و رفته افلق می سه وقد بُعِثَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ رُحْمَةٌ  
مِنْهُمْ . وَ يَسْتَدِينُ مِنْ ذَلِكَ رَأْسٌ مِنْ لِقَوِهِ فَنُفِثَ . وَ يَسْتَدِينُ  
مِنْهُمْ . وَ فِي هَذِهِ آيَاتُ أَنْتَ (مُؤْمِنِينَ) وَ مَشِيتُ بِجَنَابِهِ . وَ قَالَتْ  
لَهُ وَهِيَ تَحَاوِلُ بَثَ الْهَيْبَةِ فِي نَفْسِهِ :

— مستنصل بعد قليل إلى الوادي إن شاء الله .

واستقرت نظريته عليها برهة ، وقال لها بالإنجليزية

— سأتبعك من المقاومة إلى أن أفصل ، لا تقلقى على  
عنف حالك أنت ؟

— انا بختي

وبعد وضع دقائق خلخت عنه انحمل أحد طغلي ( نادية )  
 بعد ذلك بعد ذلك من أصابها من بعد ذلك  
 لا من قبل من من قبلها ، فكذلك حساب بالإعفاء  
 لولا ان شخصها ما أخذ منها الطفل وهي مفضضة العينين .

وكان هذا الشخص غريب .. الذي نال لها يشجبها :

— ثم سجد، فخرج من صفيح الجحيم، ثم تحت هذه المشيمة  
من الصخور التي ثربنها إلهنا هناك.

— من الخير لنا ألا نتعلق بالأمال الكاذبة .

عقبت علی ماریا = من جنم اللہ تعالیٰ سے کہہ  
 رہی ہوں = لیکن یہ کہہ رہی ہوں کہ میں  
 اس سے کہہ رہی ہوں کہ میں

— إذا لم تجد ماء عندما نصل إلى هذه الصخور غالي ميتة لا محالة ! لم يعد في وسعي أن أواصل المسير وأنا ظمأى .  
آه ! بحق السماء !

وعب إحدى يدي وصببت بعض الحجر المنقطع في شئ  
صغيرة وجعله ثم دسنته فيها بعيداً في علوة . مسطحة الطفل  
على الأرض باكباً . وصاحت ماحدة بضراوة .

— لم يعد في استطاعتي الاستمرار في حمله !

ثم انفجرت تنكي بكاء هستيريا وهي تقول :

— أتنا انتهيت ! لا أستطيع المسير !

سبلت مريم من الطفل الدكي وحاولت أن تسد يديه . ثم  
تالت للمأجدة :

— سنصل إلى الماء بعد قليل . لقد انتهى أسوأ جانب من  
الطريق الآن . تشجعي . تشجعي !

وحملت الطفل على ظهرها ومشى الجميع عندما .. مشى  
لدى الناس مذامع بعضه ومسهة . وهجومه خيمه .  
الشرقي .

بندما وصفت حملة من الصخور إلى البحر .  
كبير جداً من الناس قد ازدحموا حولها من قبلهم . وشق حوز  
و سلام الأعمى طريقهما بين البحر وراحتهم في البحر .  
يفضرار إلى أن بدأ إلى المتقدمة من تلك الصخرة .  
والصخور عميق نثر من الأرض مرفوع بعضه .

يفتحها بئر كان الرومان قد اجتروها . وهي بئر غائره إذا  
عبرت في حوز . أنت في الماء في القاع . وكس الناس قد  
عندة صديقه وحر راب من ثديهم يصبب بعضه وأدلى  
من حوز بئر . وهو قد قد صرخه وقد توفت بالنفس .  
إلا أنه طين من عكبت أصوات بعضه من منع من  
منه من سبب بعضه . والطلب على هذه الماديل جوده  
سبب حذ ..

بنت النساء يستخدمن الطرح التي يغطين بها رؤوسهن .  
من الحسنة بها يبيها ونهى رأبها إلى أبيها حذ .  
حالة تعاونها معا لن يستطيعا صنع جبل يصل طوله إلى  
مستوى الماء البعيد الغور . ولكن إذا أقدمت جميع النساء  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .

وعندما عادا إلى بقية الجماعة كانت رندا تحبل الطفل . أم  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .

— في البئر ماء .. ماء مختلط بالطين إلى درجة كبيرة جداً .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .

من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .  
من سبب من سبب في حر راب من ثديهن مسكون في و .



وكانت ماريان قد وصلت في الأثناء إلى بئر سبع. وقد علمت  
عنه ما أحسب أنه ما كان يعرفه من قبل. وقد علمت  
بها لظلم ماجده على صفحة وحبيب. وقد علمت  
الأرض، ثم جلست تبكي بهدوء وقد ثقلت عيناه  
غير أنها برئت من الهستيريا. وأرتعت ماريان جوارحها  
تدعى هذب موسى. ولما برئت منه يدعى  
هذب ثوب مادية، وأنظفون يعاونها في ذلك.

ولبت الغلام الأعمى معهن في حين محي بطون إلى بحيرة  
وبعد ذلك الحبل المصنوع من حراريت حبات و  
عياه بعض الوقت، ولما عاد ألفي أباه وعنه قد لحقا بالحيات  
وقسم الحبل قسمين. فحظيت النسبة بمساحة من  
ماء. وحظي لرحال بالقسم الآخر. وحضر الجميع من  
به زهره سرحت حبيب وسعدت أدمه به. ولم  
لا يفتنون إلى طعم الطين المجوج.

ولم يكن قرب الصحور طر على لاصاق. ولم يمسح  
الموسع طويلا. وسرعان ما اقتربوا من سبيل  
الصحراوية ثم دخلوا خورا عريضا قريب الفور. وكان هد  
هو الوادي المشهور. وقد بلغوه في الميعة. غير مصعبين

- ٤ -

ويذا الوادي جحبا من العسك لا يقل عن جحيم البرية  
نفسها، والصحور مبه تملأ القاع. حتى أن بعض الناس فضلوا  
السير على الحائنين شاقين طريقهم بين الحصار وكس  
الصخر، ولكن هذا لا ينتقص من مزية الوادي باعتباره طريقا  
واسعا. ومن هذا بساحة ليس قل شدة من جحيم  
سلك بحدوده على جيبه الذي في المقي لا يسلك  
يسمى في "المرسى الجوي" جسد سبيل في ذلك  
الوادي، وتفرقتوا جماعات تسير تباعا كأنهم موكب مظاهره  
هائل يهتد مسافة بعيدة لا يكاد يدرك آخرها الطرف.

وفي هذا موسم سبيل ذلك سبيل شوم في انطواء  
والدب يجرم جحيم الذي به من البرية يسير  
حبيب من به البرية الحمر ونحدي الرهدى الذي يكر  
البرية. ثم حذر من لدن شجار حسيه سبيل. ولوس  
من البرية. وفي هذا. في سبيل الحروب حصار  
الحصار. ولكن قرونها الطويلة البنية اللون التي كانت تتدلى  
من أغصانها أثقلت الصدور التي كاد يفضي على أصحابها  
الحوق والطها.

واشتكت قبضة يد أنظفون على يد الغلام الأعمى. وصاح:

سأشجار الحروب. هيا بنا!

سأشجار الحروب. هيا بنا!



أو على جانبه مكر الدلائل تسمى من وصولهم من تير  
إلى (رام الله) !



و (نعلين) قرية صغيرة جدا مقامة على مدرجات جانب التل،  
سوى لوسى المصر مودى لها . ويحتل شجر الصبر  
تماما . ما حارب يوسى من حارب عنقه به صخره يستمر  
منه من الغرب ويستقر يوسى ومشمس . ومن كثرت به  
بضعة من أشجار النين ، أما حيث تنحدر الأرض إلى مستوى  
الوادي تحت مدرجات التل ثمة مصاطب عريضة زرعت فيها  
خضائل من أشجار الزيتون .

.. وعلى هذه المحلة الصغيرة تدعى الد ...  
الجياح العطاش المنهكين الذين أصابهم من الد ...  
... من شمس حار وجاف . وقد جلس ...  
الأوحد في القرية فانقلب أشبه بنهر تسرى فيه بومة برصه  
راجلة متسامدة كموكب ... ، عومها جدا ...  
بها العرق . وفي نهاية ذلك الشارع ... في أعالي المدينة —  
ومعت تلك الحشود كما الحار الدغيب البئر من سائر حول  
البنوع لسجري . بحيث ... بعد الحشود ...  
أو فسحة من الأمل في الوصول إلى تلك الهدف المبعث .

وقال نطلون :

— قد تمضى ساعات قبل أن تقترب من هذا البنيوع .  
سواء بنا يا أمين بدور حول بطق القرية حتى نصل إلى طرف

الأخر ، عسى أن نجد هناك قلنا رحبها تطرق به من  
كوب ماء بارد ولقمة تنبلج بها .

وراجا شقق حلقتهما من الدم رى والرقته عذبة .  
من الأسيجة العسبة وصقوف سب اسن الشوكى . وقد  
في الطريق جياحه صميرة من الكلاب الهرله الصاله ولنظف  
التي تنسقط عضلات الطعام من الطرقات . وفيها عدا هذا  
نم يجدا علامة من علامات الحياة . فقد نهي إلى علم أعالي  
القرية من سقوط اللد ) عمروا هاريس على صور لطريق .  
(رام الله) .

وكانت ثمة حواش قليلة مفتوحة . ولكن أصحابها مرمو  
مفتوحة تدر هدرهم منهم ...  
حملوا معهم كل ... من شى صموم ...

وقى وسط هذا "الب" من الرعة والمبعضات وصل بسلام  
إلى مخبر صعب معيلا لا سار فريد حمله على خضم كعب من  
مكبوت الحمر . وكانت رائحة إفصاج الحمر يتعاقد من راحة .  
ميل ترقى من الحمر ... وتنفذ من سحره من سب القرية  
المقبرة ؟

وأطل نطلون برأسه بهترق بنظرائه العنية التي بالداخل ،  
عرأى وهج أسود الأحر ، وقد وضعت فوق سطح التنور من  
الحار كومة صميرة ... رعيه مططمة مسسيرة من سوا  
الخبز الذى نكس ... ورعيه بنور عتيقه بالنداء ،  
واسطر أن سيم ر ... ولكنه لم يسمه ...  
إلى غير رجعة أم أنه بارع مجرد صلة ...

أي كان الجواب فإن انطون لم يكلف نفسه عناء التفكير فيه طويلا وقد أتى إمامه الخبز الطازج الساخن - عسور - معه واكل وأعطى صاحبه مأكلا أيضا . وبعد أن شبعا غادر المحضر ، وقل انطون لصاحبه الأعلى وهما يخرجان إلى الزقاق الضيق :

— المهم الآن أن نعود ونعثر على الآخرين .

وفي سربق هبوطها كان يحرك سدء سون لحفا — الخشنة ، رعاية لحالة أمين ، فالتقيا بجماعة صغيرة من الناس غلب نحوها ثم يحاورهما . وإن أردنا بحسن حرما ولغائف مما يتم من جلالتهم من القرية . وانتاب انطون شعور اليم مفاجيء بالاثم إذ خطر له أن يكون صاحب المحضر أحد هؤلاء الرجال . . وإن يكون الضم الذي التفت به سبب أرغفة كان معدا لزاد هؤلاء الناس في سببرهم . ولمتدب . . تتخصص الأرغفة القليلة التي دسها في قميصه ليتقدمها إلى أسرته . ومع اعتقاده بأن طئنه صحيح في الغالب إلا أن — لم يدفعه للتفكير في رد الأرغفة . وكان أمين قد خبأ — آخر منها في قميصه مع شيء من قرون الخروب . وفزع بصو عندما رأى أحد هؤلاء الرجال يتف وتحدث إليه وسبب — أي البلاد هما . فقال له انطون : « من ( اللد ) . لقد ثبت أنا وصاحبى إلى هنا لعلنا نجد أحدا يتعطف علينا مبعثنا شيئا من الماء نروى به ظمأنا . ولكننا لم نجد أحدا : . »

فقال له الرجل : « معظم الأهالى رحلوا عن القرية — الصباح عندهما وصلت إليهم الأنباء . ولكن أسرى قس —



أيما كان الجواب فإن انطون لم يكلف فيه طويلا وقد أتى إمامه الخبز

الجارية بالبقاء حتى المساء على أن نسير إلى إرام الله  
في الليل لأن الطرق كانت مريحة ولوقت المسافرين يسير

وغمغم أمين قائلا : « إن شاء الله » . واستطرد الرجل  
يقول بهرح : « سنعود جميعا بعد بضعة أيام » عندما يتحرك  
الجيش العراقي لنجدتنا .

ومرة أخرى قال الغلامان : « إن شاء الله » .

واسرع الرجل بعد ذلك كي يلحق بمرافقيه الذين - هجره -  
والثبت إلى الغلامين قائلا : « مع السلامة » .

مقال القلامان : « مع السلامة » .

وشرعا بالارتياح لانصراف الرجل ، وقد راد اعتقادهما بأنه هو الشخص الذي سرقا ما كان قد اعدّه من الارغلة لزياد أسرته ! ، وقال أمين وهما يتعثران هاتين الأرتة المحيرة : « حتى إن حرر الجيش العراقي فلسطين فلن نعود بعد بضعة أيام كما يقول هذا الرجل ، بل سيستغرق الأمر وقتا أطول من ذلك ، ثم لعلنا في النهاية لا نعود إطلاقا ! » .

و به سبب انظرون على كلام امين . فقد كان اليهود منظمين  
نظمتها بالحقا على حد ما سمعته من حديث ابيه عنهم . أما  
العرب فلم يكونوا منظمين على الاحلاق .

إن كل ما يفكر فيه الآن — أو يعارِفه ألقى كل ما به —  
 لأن ما يفكر فيه — هو العنبر على "الذهب" ثم الوصول بعد  
 ذلك إلى النعم . ثم إن هذه التي كانت قابضة مدي سماعت

ملفوظات علی مد آمین : تؤلّه الآن ، وهو يشعر انها لن تنبسط  
من آخرها كما كانت من قبل .

وعندما عاد القللمان إلى التمارع الكبير ، وجدوا ان الجمع  
مختلف لم يزل يزداد ليعقد حول "السبع" . ولما مؤخره ذلك  
جميع منهم ، لم يخلط بعض الناس ، لان الكثيرين اُدرجوا معهم  
محاولة وصول الجميع في وقت واحد إلى مصدر الماء ،  
معرفة ان "القلمان" أو "السبع" يحب أن يفتح ليرى ما  
يأكله "السبع" ، ويذهب ليطوره التي حفرها ليدخل  
بعضهم ، فحينئذ يلاحظ "القلمان" على أهل منهم  
لم يعودوا متعجبين للحدث على غير عادى في مجرى سيرته  
التي هي "السبع" التي هي "السبع" التي هي "السبع" .  
في الأردن ، في أرض عربية . في ذلك الجزء من الأردن الذي  
هو "السبع" ، في ذلك الجزء من الأردن الذي  
هو "السبع" ، في ذلك الجزء من الأردن الذي  
هو "السبع" ، في ذلك الجزء من الأردن الذي

جلس الناس يحملون في التلال ، وكانت الشمس الغامرة  
قد صفت صخرة الأملق من فوقهم باللون القرمزي ، ومن  
 وراء الأصيل راحوا يحملون في ظلام المستقبل البذى لم  
تشكل بعد ، وكان نفر منهم يكون من الأعياء والقنوط  
ودفق أثر كبد العبد جلس يحدث في جهود ، هو بداية  
الجهود المعهودى للأجنيين على نطاق واسع ، حيث لا يعرف  
لاتقسم مصر !





وفي بعض الأحيان كان يسبح من المراء في خارج القرية ومن جوف البرية عواء قطعاً قصيراً يرسله ابن آوى - فتحمسه الكلاب من كل صوب بمواصف هادرة من الفجاح .

أما النائمون فكان منهم من استغفروا في الكرى وكذبهم لن يهوا من سباتهم . ومنهم من راحوا يتقلبون كأنهم يتألمون على حمر المعنى . ومن حور هؤلاء هؤلاء . . . . .  
الارهاق إلى الأرق ، لأن عياء اليوم أثقل على نفوسهم من محب السير الشاق ، فهم يحذقون في أجساد النائمون عن كثب منهم فوق مدارج جانب التل ، متطلعين في سبر سدد إلى المجر من الأفق الشرقي .

ونامت « ماويان » . رقدت مستلمية على ظهرها فوق الأرض الصخرية وقد انكعب التعب قواها تمام الانهالك . . .  
« ماجدة » في استغراق إلى جوارها وقد تكور الطفلان حسداً ، ما ياديه عرفت ساهره سكي وسوجع وسوجع . . .  
وسراج مدرس مسندا بظهره إلى شجرة مسندة تحت ، قد استولى عليه شعور بأنه لن يعرف للنوم مذاقاً بعد الآن .  
وحلس أنطون بجواره وهو يحشى أن يستلقى على الأرض حتى لا يتعبه الحريق ، لأسمى مرة أخرى . وكان يريد قد حبل أن يطل بقطا كي يوسس وحشة أحسنه . وكان يقول :  
النهاية على امره فاستغرق في النعاس وهو جالس .

وحلق بطرس في الحظوظ ليخرج حصة من الأرض . . . . .  
وغال بصوت مرسع وإن لم يوجه حديثه إلى أحد على وجه التحصيص .

— لم يستطيعوا أن يقتلوا . لم يقتلوا منا إلا الطاعنين في السن فقط والصغار جدا . لقد أخرجونا إلى البرية لنموت وحدنا . ولكن لم يمت . انما لم نزل هنا . معظمنا على الأقل !  
بكنا أصبحنا شعباً بلا وطن !

مقال أنطون : « لعل الجيش العراقي سيسارع إلى تحرير وطننا فيقتلنا لنا عندئذ أن نعود إليه » .

ونظر بطرس إلى التائق الشاحب الذي بدا في محيا ولده الجالس بجواره ، ثم قال بركة : « ربما . إن شاء الله » . . .  
ثم سطر بعد مراحه . استيق يا مني وحاول أن تسلم .  
« علينا أن نشرع في السير مرة أخرى » بمجرد بزوغ الشمس .

سلقى أنطون بجوار أبيه ، فمسح جبينه شيئاً من نبات الرى كان على الأرض التي يرقط غوتها ، ففاح منه صدره . وأحسن كأنه لم يزل قابضاً يده على يد أميره . ولكنه يحس يشغل يدي أمين المتشاكين ، يكاد يحس به فوق عناءه كفته !

وقال بالإنجليزية في لهجة تفيض سعادة :

— انتصروا !

.. وبعد أن أطلق زفرة استرخاء صغيرة ، استغرق في النوم .

\*\*\*

وكان اليوم التالي أقل فطاعة من اليوم الأول ، مع أن كل حاراً . . . ذلك أن اللاجئين لم يسيروا في زواجرهم في هذا في (م ١٥ - الطريق الى بارشبع - الجزء الاول)



وصاغت به ماريان في سرائه وقد سفت في بؤخره  
أخذت بالفعل تتجمع عند نوبد لسييرته . ركب ' سبع  
ان تحشر بمسك سفت . ويستجمع أسس في حله عم  
السيارة تحت اقدامنا » .

وركب الغلامان ، وصفق الباب ، واستأنف السائق تسير  
الى الأمام مباحث في مكان يسمح بالمرور . من  
الناس قد أخذوا بلوحور بخصائص أندلسية في أثره  
« الموكب » . أما السيارة ، فبسيطة ومهتبه  
وهي فارغة لأن الذين أرسلت لثاني بهم كانوا فيما سددو  
على مسافة ميل أو أكثر في مؤخرة الموكب الذي لا ينتهي .

ووجه بطرس إلى السائق هذا السؤال :

« كيف الحال في ( رام الله ) ؟ »

فاجابه السائق قائلا :

« حال مقلع ' مقدومس في حرم من ملخص  
المحسنة وله مكان في المدينة . السكر لاصحبه . وقد  
عليهم لخبر من حجاز ' عيسى ' عيسى ' عيسى ' عيسى  
باشا هو الذي أمر بذلك فيما يقولون . »

فسأله بطرس : « أهو موجود هناك ؟ »

فأجاب السائق : « لا ، إنه في القدس . ربيعه اندسه  
بلغونيا هناك . وكان الناس يرحبون العساكر بالحجر  
بالأسس عندما جاءتنا أنباء استيلاء اليهود على ( القدس )  
و ( الرملة ) » .

وكانت نبرة صوت السائق تدل على الرضى مما فعله  
سبع بالمسافر . ولكن بطرس لم يفلح . فالمسافة كانت  
سيدة التي ترجه لا بقصورها العقل . ذر على أسس كل  
يعتقد أن السيارات المسلحة الثلاث التي ماوشت طلعه  
كتب الإسرائيلية على مشارف مدينة القدس . كانت ملائح  
تو الراحه لتخلص المدن من اليهود . ولكن هذه الأيام  
« سمحس من سوء » ، ولم يظهر من كتائب الفلق العرس  
طوبى واحد ، فاقصرت الفلوات على مشارف المدينة .  
أب فوات اليهود مكثت متوقفة في العده والعدد . ماذا يحدي  
ثلاث سيارات مسلحة في دفع غائلهم ؟

« بطرس سفتد أنه عندما يكتب تاريخ الحرب العرسه  
الإسرائيلية سيذكر فيها أن جنود الفلق العرس كان من الممكن  
أن يقتلوا بسعة صد قوات معاده بوقتهم سدا وعد .  
وبد رحمه الأعلى ' اندسوا ' المستكروا العساكر العرب  
الحجارة وعصوبهم بالخصي . لقد فعل المندوب عدا رهم  
لا يعرفون شئنا بالداهه عن المشكلات الحرسه . وأحسن  
بطرس غصه شديدة لأن حرجا حددا قاسب بد أصاب الروح  
ال فلسطينية التي اثخنها الجراح من قبل . »

ولما تسنى للسيارتين أن تدورا لتعودا صوب ( رام الله )  
أفسحت الحشود الطريق لهما على مضض واستياء .

وقالت ماريان لنفسها في أسى يائس :

« إنه شعرونا بالاثم لتمنع هذا الاثنار عليهم . »

هكذا كانت حالنا دائما ، وقد قضت أسرتنا عبرها كله  
مخطوطة مسع .

وشعرت بارتياح شديد عندها التقوا في الطريق بضع  
سيارات أخرى قادمة من ( رام الله ) . وإن كان أطول  
كاس من السيارات لا يمكن أن يفي إلا بقدر حصة من عشاء  
الأول من أولئك المنهكين المتورمين الأقدام ، الحائمين  
العطاش . امتنست عروا والمرويين جهدا ودموع . مع  
كان عليهم أن يواصلوا السير بشده وسط عوى طريق تسعد  
لروح معدية من العمار الكئيبة . وهم يقربون من نهائه  
سيرهم المنكود إلى ( رام الله ) .

- ٥ -

ومن قبل وصول كتلة المهاجرين الرئيسية من ( اللد )  
و ( الرملة ) كانت مدينة ( رام الله ) الجبلية الصغيرة مبرحا  
مطر حسب . لالوف المدرس الدس لا دس ليم وهم سدس  
في شارعها الرئيسي الضيق ماضين عن الطعام والمأوى .

وتحت كل شجرة زيتون فوق مدارج التل كنت ترى أسرة  
قد عسكت هناك . وفي كل حديقة وعلى طول كل جدار أو  
ساح في شوارع الحي السكني التي تطلها أشجار الصوبر  
كنت ترى خياما بدائية مصنوعة من الخيش القديم وحرق  
الثياب المهلهلة لتأوي تحتها رجالا ونساء وأطفالا فتيحتهم  
إحسانا وهميا بالملاذ .

ومن بين "أنبل مائين" هم بطم مائين مع "الشهيد"  
والجنس بوريه "العمر" و"بطم" و"لحام" . بعد ذلك  
"الخروج" الكثف الواسع النطاق لم يكن متوقعا من قبل  
وسد "السيرة" بعد "لم" بس الاسمذارات قد احدث لموجه  
مثل ذلك الطوفان . إذ كان الاعتقاد السائد على نحو ما  
( اللد ) ليس من المعقول أن تسقط في أيدي اليهود . ولذا  
بعد بول "لدى" إليه "لحام" من المناطق لمصلحة سوا  
شعب من لاهان من عدوان "اليهود" و"بطم" . وكان بها حرس  
نومى قوى . وكل رجل من سكانها قادر على جمل السلاح  
كانت لديه مدققة . وفي نوقت الثار حمت منه عدة لغار  
بمساعدة مفعفبه من كل مكان حولها .



وعندما وقعت السامرة أمام أبواب مملكتهم داود اعطاه سبعة  
من الطريق العامة في نهاية حديقة مزارعية حصة مائة  
المرهرة وستين العاكفة ، أحد الناس المساكين تحت مطالب  
من الخيش القديم بثينة في قصبة سياج الحديقة بطرول  
المهم بعينه وحده . كانت بطراتهم تقول ناجلي سان .

« هؤلاء حقاً هم المحبسون » لأنهم قطعوا حراً سم  
الامر من مملكة الخروج بالسمارة ، ولهم ههنا بيت وأسرة  
يلحون اليها ...

وخليل داود رجل وسيم طويل ذو بشرة شقراء ،  
رسيم راسي لمعير ، يتحرى التماسك في سلوكه حملاً  
لا يعرفونه من كتب كانوا يفتنون به من قبل . أصبح في  
جسده ثقل في الواقع رجلاً عموماً حاسب كبر من قبله الحبر  
والسخاء والرقعة الفطرية .

يعو من كبار ملاك الأراضي ودو ثروة طائلة ، وروحته  
« منى » لها محاسن آل منصور وسحرهم . وفيها شيء من  
سرعة الغضب التي يتصف بها شقيقها الأكبر بطرس . ولم  
كن حبل مسلماً فقد اسما رؤساء لاسرته في بدنه من  
الاسماء بعد ذلك الزواج . فبعد عدا بطرس الذي كان  
الغربة روحاً محجوراً ، لأن روحه الأولى التي كان مروجاً  
في ذلك الوقت كانت قد نزلت مع رجل أصغر منه سناً ..

وعندما عد عريد الذي كان ملحقاً بمتزوجة مع أنه متزوج من  
اسرة متدينة يصل تدنيهما إلى درجة الإيمان بالخرافات  
والخرافات ، على طريقته ايها العجائز . وقد طرد خليل

داود عندما رأى بطرس وقد قارب الضمسين من عبره يصيب  
شيوخ الأسرة بضربة عنيفة أخرى عندما تزوج من امرأة  
بخطيرة أصغر منه بعشرين سنة إلا أنها تعتبر من وجهة  
نظره ولتلك الشيوخ المترددين عجوزاً ، ثم هي فوق هذا وذاك  
أجنبية .

وكان لظنون يشعر بشيء من الخوف من آل داود ، أي من  
روح منه خلس في لظنهم الممالي ، ومن عمة « منى »  
بنت من وعصب من شيوخ عدا ثورات عصب ، ومن  
البنات الأربع بنات عمة ، وكانت صغراهن تقاربه في السن ،  
أما كبراهن لفتاة كبيرة في السادسة عشرة من عمرها ، لها  
بشرة ذات إطار ، وبوحي مطبها ولهبها سبب يعرف كل  
شيء في الدنيا ولا تطبق أن تشغل نفسها بأي إنسان ليس في  
مستواها العلمي !

وذهب روحه منصرم الاخطريه مارس نيل إلى روح أحب  
وحيها — خليل — ولتكن ثرى « منى » متعبة ، وتري بناتها  
غير حذابات بصورة واضحة ، برغم ما يتمتع به والدهن من  
حسب الشكر المكون . ومن الممكن ان يظهر السر الاخطريه  
— منها تعتقد — بسبب لون بشرتهن الأشقر ، واسلوبهن غير  
المالي ، وعدم لياقتهن في التصرف أمام الناس !

أما بطرس فكان يحب أخته « منى » ويعفر لها ما يتناوب  
من هرج وعصب ، لأنه يعرف من السخة الوثوب من دمه .  
ولم تكلف نفسه عناء محاولة فهم خليل ، إلا أنه كان يرى  
احترامه ، لثرائه الطائل واستقراره ، سمع من شيوخه



للعائلات العريقة من مكانة مرغية . ولا سيما أن عند عرب  
الاستقراطي زوج أخته .

وأقبلت « منى » تحرى بأسلوبها المندفع لترحب بهم . ومن  
ورئها أقبل خليل في أناته وتصلب قامته وهيبته وحضه .  
إلا أن ذلك لم يمنعه من تقبيل صغريه فوق الحنجر . ومن  
تقبيل يدي المراتين ، ومن تربيت خدي أنطون بأسرار برست  
هيبا . وتعبالت من الحائنين صيحات الترحيب والتعدي  
والتنسي والاستفسارات ، ثم سار الجمع في بوكة صغرى ضد  
« مرحولا » تمرش فوقها أعواد نبات « الجسيمه » ضد  
الغلا البعده المكلفة بالسانات المنسلقة لخصر راب لاوري  
التي تشبه أوراق الكرم ،

وارتقوا جميعا الدراجات الرخاميه البيضاء إلى سرعة وسهولة  
ناترت فوقها المفاصد والمقاعد في تنسيق مدبج . وفي آن  
مصور بأجسادهم على تلك المقاعد ، وحى إليهم بالمشروب  
المثلجة . وأخذت إحدى الحاديات طفلى ماذنه لتمشى ميمس  
إلى مكان آخر . وأرادت أن تخذ معها أمين معها . ولكن  
أنطون أصر على بقائه معهم ، وقال في تبرير ذلك الأصغر  
- إنه صديقي .

فسأله عمته منى : « وأين أسرته ؟ » .

فبادرت ماريان قائلة بسرعة :

- سيصلون فيها بعدد . وهم يعلمون أين نحن . فهم في  
خدمنا . دعيه مع أنطون الآن ، فقد سارا معا متلازمين طول  
عريق .

برسوذ وضع خليل داود يده على ذراع الغلام الأعشى وقال  
له بحنان واضح :

مرحبا بك . أنت هنا في دارك .

فأنت ماريان :

- نحن جميعا في حاجة إلى الاستحمام .

ثم انفجرت تبكى بدموع غزيرة فجأة وبلا سبب .

\*\*\*

في يوم غيمى من سن جميع بلاد بيت - ود في تلك  
الليلة مسوى بطرس وحده الذي انهكت قواه تلك المسيرة  
« وسيرة عرب » الليل في معراء في البيله الماصيه على  
« القل في مشارف قرية ( نعلين ) » . وبلغ من عمق نومه  
أن غصته العميق الرنان نفذ إلى سمع ماريان التي رقدت  
في حبيب في الحجرة المتصلة بحجرتها ، فزاد ذلك من  
نومه حبات .

نادية عرقدت مع طليعها في حجرة أخرى ، وراحت  
« نعلين » عن مساهم يفرحون عن « مصرى » الذي  
« نعلين » ومنى « نعلين » .  
« نعلين » في نوره الع . والعشب « نعلين » نعلين .

ما وقع لها ، لم أن الأخرى بها أن تقتل نفسها قبل عودته حتى لا تواجهه بمذلتها ؟!

وكانت هذه الأفكار تنقلبها طول الليل وتمطلها ومصات من الرجاء تتحيل فيها أن عودة نصرى قد بحرب إلى أن يمشي لها مرور الزمن لتلبس الحاسم على مهلا لا تحس في حاسوبه ذلك المعبر المصعب لدى وقعت حيرته بسبب . ونصرى لا حجة به إلى أن يعلم شيء عن تلك الحسية برمه.

بيد أن لحوف كس يلقى ظلاله بمسحه دما سري منذ التوحيث من الرخاء . وقد حاولت مه وحاولت مراراً رويها مع فائس إنه إذا بين أب حارس من نصرى رعد حريان أن يذهب معها إلى طبيب فلسطيني فيخبراه بما حدث ويطلبان إليه أن يجهضها ، وما من طبيب مستصفي بسعه . هذه لحاله أن يرفض هذا لصب لإسسى والودسى في هذه الظروف .

ولما أغلقت عينيها تراءت لها مرة أخرى صورة وجه ذلك اللبناني الأيركي اليهودي الشاب وهو يصعد مرصعاً ليعتصمه لودسع عليه ، محطت بقلب رسيه عوى . ومن هذا الجانب إلى ذاك الجانب وهي تن من عذاب نفسي مستعمر .

وفي الحجرة الملاصقة لحجرتها رقد والداهما . وهما لم يفض لهما جفن طول الليل ، لأن ملحدة أفضت بالنفس الفاحح إلى فريد بعد أن أويا إلى حجرتها .

وقالت ماجدة تسحت زوجها على السكوت عما تصاب سبه .

— إن لم يصل نصرى إلى هنا في وقت قريب جداً فقد سببه سببه ن كل شيء على ما يرام . وفي هذه الحالة لا حاجة بصبرى إلى أن يعرف شيئا عن هذا الموضوع إطلاقاً . فلماذا نسبب له عذاباً لا ضرورة له ولا مبرر في هذه الحالة ؟ وبعد عشرة أيام تقريباً ستكون نادية قد عرمت كل شيء .

نقال فريد بوجوم :

— بحسن إذن أن تصلي لله بحرارة كي لا يعود نصرى تن أن سكر ناده مذهبه لاستقباله وقد ثبت أن كل شيء على ما يرام . ولكن إذا عاد قبل أن يعرف على وجه اليقين على حبله لا يمر البحر في هذه الحالة أن يقوم حننك بإلغ الأمر إليه !

فكانت له ماجدة بشيء من الدهشة : « ولماذا خلل الدات ؟ لماذا لا يقوم بحواره بطرس باعتباره رأس الأسرة ؟ » .

— جانباً قتلاً : « إن بطرس سيجد هذا الموقف مرعجاً له . وبعد سحاور طاقه احتماله . أما خليل مهديء سره : عصب . على الصورة التي سفي لحام أو طبيب بعالم الأمور معالمة موضوعه . من الح أن تلت به . »

ورثدا على طهرهما في الفراش الواسع ، وقد مد كل منهما  
 رجليه بحفاوة جنبه مسرحين ، لراحة عديده  
 وقد وجدا لمراسا يرقدان عليه بدلا من جانب التل الصخري  
 الذي أرتقيا في الليلة السابقة ، فاستلقيا على الصخر  
 في حد ذاته نعمة . وكانت النعمه حريه أن تكمل لولا  
 القلق المزعج الذي تشبه ناديه . نعم لولا هذا  
 ر سيقربا في النوم بكل سهولة بعد طول  
 منكم الضم على عويده ووجهه مخفى في  
 يد عويده من حسن عويده .  
 لهم هويته ليوم تقفب الحارة وهي حاله  
 نتحب في الحجرة المحاورة .

وفي مؤخرة البيت ، في حجرة تطل من الطابق  
 حديده باب حارة والشجار من كل  
 الفراش وقد عقد يديه تحت رأسه ووجهه صوب  
 من حارة . وكانت شجرة لا تسب تحدي سريره  
 بالنافذة وتغمهم هواء الليل الدافئ الساكن بعيرها القو -  
 بأصوات يران الحساس . تلك الحارة الباردة  
 تنساب في الظلام آتية من بعيد .

وكانت منى جالسة بجواره متكئة على عدد من الوسائد  
 وهي تحدي مسخرة ، ورجب أيضا صوب النافذة  
 لقبر . وكانت مداعبة تجعل في كثرته ندية مع  
 ثم نم بينهما ، علم سبق يحصل لسزيد من الكلام في هـ



وكانت منى جالسة بجواره متكئة على عدد  
 من الوسائد وهي تحدي

الخصوص . لانه إذا تخضع الموضوع عن أسوأ احتمالاته  
ملدى خلد صديق حميم من لاطباء الفلسطينيين . وهو وثق  
انه سيمسح حداً لذلك البحر التمسح . وحيدر بدأ يستحدث  
إلى بصرى عدي بصل بعد إضائق سراحه . ومن يؤكد أنه  
لن يشعر إلا بالثناء لحال زوجته المسكينة .

لقد زلزل كتابها وأبرعها عنه الانبجاش حيث كانت  
الوحشم . ولكن به مسألة أولى بالنظر والبحث عن حرمها .  
عالمسؤال الآن هو . هل من المستصر أن يهجم المسجون على  
( لاطرون ) بعد أن احتلوا البلد والرملة ؟

ولعمرو نعم عند تفاسيح طريقين أحدهما عدى إلى  
رام الله ، والآخر يوصى إلى القدس . وبما أن قوات من  
السوق العرسى لم تترك في لاطرون . ولكن بدأ تفسيح الناس أن  
قوات العرب بواحه في كل مكان قوات من العدو بموتها عدى  
كثير .

وسقوط لاطرون معناه أن الطريق صارت ممتوحة إلى  
رام الله ، ورام الله قد صارت الآن مكشوفة إلى أقصى حد  
بالاحتئين . مهل سيمسح حروب آخر . وجهته في هذه المرة  
مدينة ( أريحا ) التي تقع على انخماض ١٢٠٠ قدماً تحت  
مستوى البحر ، والحر عليها لا بصورة لعن في شعر بوليه ؟

هل سيكتب عليهم جميعاً - آل داود . قال مسعود  
بأدروا بالبحر من البلد الآن . متى يربى برصه حتى الطريق  
في الوقت الحاضر ؟

إن بعرض يمتك بنا هناك شمع لهم حرمها . وكانت متى  
في حته خصيه سببه بعد لحكابات لؤلؤه التي سمعها من  
'الحره من ( اللد ) ثم أن التلقى ساورها بخصوصياتها  
الأربع . وكان من رأى ( بطرس ) أنهم يغيث أن يبادروا الآن  
بالمسير إلى ( أريحا ) . ففي عزمه أن يتوجه إلى هناك مع  
( ماريان ) و ( انطون ) في القند إذا وجد أن الجميع قد طفروا  
بكفايتهم من الراحة .

وأشار ( خليل ) إشارة تدل على نفاد الصبر وقال :  
- ( بطرس ) متقدم في السن . وقد نالت من أعصابه تلك  
تجارب سي مر بها . إن اللد وأرملة سنفلق في يد العدو .  
لأن حداً لم يصبو الدماء عبيهاً بها مدقة لحدود مديها .  
معد كثره من العللى العرسى . وسكون أسعد متسع من  
وقت لمرور إلى 'أريحا' في حاله سقوط لاطرون . وإن كنت  
لا أعتقد أنها ستسقط .

وأشاح برأيه . وكان ضيوء الممر يسقط مباشرة على  
وسائدها ، فاستطاعت " منى " أن تراه ينقسم بساكنه  
الميسرة المستهينة ، ثم قال لها :  
لمسأداً كل عدا القلق ؟ إنك تؤكدين أنك تؤمنين بالله ،  
ملد لا تشك به ونكسر الأمر إليه ؟ إن الله رحيم بالعباد  
لعليق بهم ، أليس كذلك ؟

ومد إليها يده وأردف قائلاً :  
- لماذا لا نعلم قليلاً ؟  
فاصعقت سحرها ورقدت بجوارها .

ووضعت رأسها على كتفه وأحاطت جسده بزعانها ، فلم  
يتكلم ولم يتحرك . . وسرعان ما استقرقه النعاس .

وكانت (منى) تحسد زوجها (خليل) على ما يتمتع به من هدى  
في عقله وجسده . وقالت لنفسها :

— نحن (آل منصور) عصبیون لا یقر لنا قرار ، ونعمر داند  
 سخیون کما ذلک حجة باعثة علی بریه حافیه . . .  
 . المسألة کلها لا معذور یكون حجة باعثة عن . . .  
 . نوبس مستحقین . هالأمران فی النجاة سبیل . . .  
 والذین للذین .

ولكن (خليل) ليس شديد الإيمان بالدين . ويؤثر أن يكون  
 الشخص هو مرشده وأرعبه . ولكم محبة  
 وعنايته عربي مسلم .

هذا الشكر بعد ما أحسنا مني بعد تلكه سعة في  
الحواطر ، وفي العداوة التي يتقم بها اليهود على المسلمين  
والنصارى على السواء ما داموا عربا .. ولما استيقظت في  
الصباح وجدت ( خليل ) قد نهض مع زوجة سعد و  
الحجرة ، ففضلت على الحرم ثأمة الحمار

وقبل أن تخرج من تناولها الفت (ماريان) واقفة بجوار راسه  
يبدو عليها الابتعاش وهدوء الأعصاب بصورة مذهلة . وكان  
ثوبها قد غسل أثناء الليل . وقالت لها (ماريان) إن مغربي مصر  
على الجيوط إلى (أريحا) - وأنه قد اتصل بالفعل بليفونيا سبه  
هذه . هـ - جليل قد أمر السيد لمر أحمد بن فقه بن صمصم .

- 7 -

من الدافع من ذلك يرتفع عوف مستوى سطح البحر بمقدار  
«عين من الأقدام إلى (أريحا) التي تنخفض عن مستوى سطح  
البحر بمقدار ١٢٠٠ قدما في حرارة أو أسط شهر يوليو « عملا  
- على عليه الجميع - فيما عدا (ماريان) - ووضوهم بالبحر -  
... هذا سمع الناس ما يكون لغوهم لعلهم ليس به من حور  
... لهذا السطح الذي هو فوق ذلك الحين وهو حوران :

احت (ماريان) تود على هذه الحجة بإصرار قائلة إن نثاري  
على من ملاحموت ، ولا يمكن أن يكون له نصيب من  
الجنة التي تقع على الطريق الرئيسية الممتدة من  
الطريق المزدحم بحدود بيورا ، مما يجعلنا نلاحظ  
أنه على الأرجح ، وأننا نرى على ذلك في مضمون هذا  
عائى من العذاب ما فيه الكفاية . وأيدت قولها هذا بالذموع  
لتي حالت في عينيها من قرط ما منيت به شخصيا من الإساءة  
من والحمدى . فشي كانت ( أريحا ) بجوها أنماظ من  
ما يصبو إليه كي تطمئن نفسه ، فمن الواجب أن يذهب إلى  
هناك ، ومن الواجب أيضا أن تذهب إلى هناك معه زوجته  
بها .

يبدو أنه كانت تعلم أن ذلك ليس كل ما في الأمر ، أجل إن حالة الإنهك التي يعانيها حقيقة واقعة ، وحقيقة واقعة أيضا أنه لا يشعر بالأمان في (روايات الله) ، محرر - جنرال تعرضه لحنة أخرى -

وحقيقه واقعه نشأه أن حواريهم لم يكل من معصيه من  
خليل للاحس ، سعاستهم وصعاعهم ، كل ذلك يقين لوفاء  
على اعصابه . ولكن ما هو أهم من تلك الدوايع كثير رسيه  
بل حاجته الماسة إلى الهرب من لقاء الناس .

لقد أمضوا الاسبوع الآخر في سيمه بالمدن وهم يمشون في  
نهار محوطين بأمانس مزوعين خروعين ملعين . من يرب  
وأصدقاء وعرباء عنهم نهبا جاعوا كلهم يمشون في  
السب الكبر ، معاشوا جميعا في حو الخوف . مسخضين بعضه  
ببعض ، يسيطر عليهم توتر مستمر .

وكان الإسراييليون يطبقون على المدينة في نتره ، أيام الاحيرة ،  
ولا يفرق اذهن آل معسور الفرح لرهبتهم حدث في  
ناسين منذ بضعة أشهر فقط ، حسباً عند ليلهم سحبه  
شبهت القرية كلها على أشنع صورة ممكنة . وطلب هذه الصورة  
تلج على محيله الناس ، مما حدث على بعد بضعة ايام من  
القدس ، من الميكر أن يحدث في مدينة ( اللد ) الغزلاء . . .  
ولقد أوشك العبد لعصى لنلك 'الامه' الاحدي في اللد  
يتجاوز طاقة الاحتمال البشري ، والناس مزوعون بين الخوف  
من المذابح وبين القصف المستمر بالقتابل ويردات الطلقات  
النارية . .

حدث كل هذا والناس في بيوتهم متلاصقون . فلا مخرج  
المرء بنفسه كي ييكي أو يصلى أو ينفس عن عواطفه بشئها  
أن يحب . وهذا الحرمان من الخلوة اشد وطأة على بعض

الناس مما هو على بعضهم الآخر . و (بطرس) ممن كانت هذه  
الحالة بالنسبة لهم عذابا لا يحتمل .

ومع أن مجموع الناس في دار ( خليل ) أقل من اثني عشر  
شخصا . ولكنهم من خاصه عمل الاسره لأفريس . إلا أن بطرس  
كان يحس مع ذلك أن عددهم أكثر من سيمى . وأن التوسر  
تسبب بعضه فله يسبق قط أن كان الاتصال بينه وبين  
روح اخفته حبيبا أو مستترا على هذا النحو . والعقبات الأربع  
— بنات أخته — كن يزجن أعصابه بكثره ضحكهن الحبلجل .

حر . كن يسأل وكل شيء كان يربح عصاب بطرس .  
فيها عدا زوجته وابنه . وكان يريد — بل أنه بعارة أدق كان  
يحدثه إلى سأل يفرده به . وكل ما يمسسه حرارة أريحا من  
بعض . كن شبت مذكورا في بطرس . أريحا . بد من  
عنه على يديه ودونه . وهي سبب عاصه بصحات الإهاب  
سودى عصب من اللاحس المشردين . وفي أريحا سوف  
يكون في مسوره أن يعم بالهدوء والوحيدة مع الشخصين  
الأوحدين اللذين يشعر حقا أنها يعنيانه من كل قلبه .

كانت (ماريان) مدركة لهذا كله ، لأن هذا الحل كان موافق  
لها . أعصابه اربحه . وإبب لنعم أن سر في أريحا لا بد  
أن يكون قاسيا جدا ، ولكنهم في الوقت نفسه سيثشعرون  
بالصبر والصبر ، ويستمتروخي أعصاب (بطرس) ، وسينعمون  
بمنه بغيره .

من يمشي على شعير يمشي على  
في ربه . فهو أصلا لم يشعر بالألم طافا .



يكن على سجيته قطيع أبقاريه من ( آل داود ) . ثم . . .  
( أريحا ) يعتبر بمثابة دار ثانية لهم ، وفي وسع ( أمين ) رؤيته .  
يهبطوا معهم إلى ( أريحا ) ليكونوا بمثابة خدم لهم . . .  
هو و ( أمين ) متلازمين . وسوف لا تبدأ الدراسة بالنسبة لكتيبتهم  
قبل أواخر سبتمبر . وحتى ذلك الحين من مدى ماذا سيحدث ؟  
رئيس مسؤول . . . . .  
الناس جميعا . . .

و سيمر رأى بطرس على سبيل صريح في أريحا  
وهي طريق من الدرجة الثانية ، وعرة ، ضيقة ، صخرية في  
معنى مواضعها ، يضاف إلى هذا أنها كثيرة المنعطبات ،  
تستغرق مدة أطول . إلا أن الطريق الرئيسية الجديدة قد  
تأبى مدينة ( القدس ) ، وثمة معارك ناشبة في أريحا القديمة  
واليهود يستخدمون في تلك المعارك قذائف المورتار الخفيفة  
ومن ثم لم يكن من الممكن لأي شيء في القنبا أن يقرى بطرس  
بخطر ( القدس ) ، وإن كان ( فريد ) - الذي غرر البقاء في  
رام الله - يجادله في ذلك قائلا إن وجسود الفيلق العربي  
هناك سيكفل لهم حماية أعظم مما يمكن أن توفره لهم تلك  
الرحلة في صيف الربيع . وكان الطريق إلى أريحا لم يفتح  
أما هناك في الوادي فمن الجائز أن يحدث لهم أي شيء !

ورد عليه ( بطرس ) قائلا إن أي شيء يمكن أن يحدث في أي  
مكان ، هذا صحيح ، ولكن الأخبار تتواتر بأن الفناء قد  
على مدينة القدس بلا انقطاع . وأن سبيلهم يسعون  
كنيسة « فوتردام » ومعهم المدافع الرشاشة ببطرس على

دس من بواعد لكتيبتهم . وثمة لمصنعه ان ملغوا من اخروج  
كذلك في لا على بصرتهم المدافع الرشاشة أو شطار  
سائل في ( القدس ) . أما في الوادي فليس من المنتظر أن يلتقوا  
بإنسان سوى اللاجئين من البدو .

وبعد لهم ( حلل ) دسهم سبتمبر . بعد . . .  
رام الله . . . . .  
والقادر على معالجة

— لأننا ستكون قد القينا باليهود إلى البحر .

بمعرفة بطرس عن مصيقاته اليوتس في مورج هيس الاسي  
الحزن . وأجابه قائلا :

— . . . . .  
. . . . .  
. . . . .  
" القوات ، ولكن العراقيين لم يدخلوا هذه المنطقة بعد " .  
مأجابه ( بطرس ) : « أتمنى على الله أن يصلوا في الوقت  
المناسب » .

وغضبت ( ميني ) ، لأن ( بطرس ) كان غيبسا يبدو حريصا على  
مخالفة ( خليل ) في الرأي على الدوام ، وقالت بحدة :

— إن هذه الروح الانتهزامية لن تساعد على حل الأمور !  
فأجابها أخوها بلسا :

— من الخير دائما أن يكون المرء . . .  
الأمور . . .

ومساحتها (ماريان) وهي تحاول يائسة أن تكون على الجهاد.  
كما ينبغي لصيفة مهيبة

— ومن أين لاي واحد منا أن يدري ؟ العسكريون وخدمهم  
هم الذين يعملون مكان القوات ، ومدى استطاعتها !

لقد كان من المحدى حقاً لراحة أعصابهم أن يرجحوا سعد  
عن بيت (آل داود) ، وعن (رام الله) القاصبة المخلوق عن  
آخره .

\*\*\*

وبعد الحروب من المدة درجت الطريق على صور حـ  
العليا لحور عتيق يقع بين اللال لعابيه - مصر في وسبب  
أن ينميا بشيء من استرخاء الأعصاب .

وكتب لسلال والوادي من تحتها مكسوه مسجده . و  
الوادي مواضع متناثرة من الحقول المزروعة . والأعاصير  
ساعات ياتيه بطلون سلب للرسمه أخضرى . وبعد وجبات  
مربعات أسفله بها بساتين التفاح والبرتقال ، تحرى بنفيا  
حداول الماء النير . وكان الوادي كأنه يشدو طريا بين  
فيه من خضرة خصبة ، ولكن هذا الشدو انتهى بانتهاء  
الوادي .

وحد لصربو بعد ذلك يتولى جانب إلى أن اند حب نـ  
كلها من حوله وغدت صحراء متراصة تحف بها تلال جـ  
بتحدهه شبه اللوس . حيث لا ماء ولا مراعه . وبعد أن مر  
بمعسكر صغير متعزل من معسكرات البدو كان كل حساب

المنخفضة مصنوعة من شعر الماعز الأسود تحتضن الرمل ،  
ثم تعد ثمة علامة واحدة من علامات الحياة .

وأحس (أطون) ترقئة في صياح أذنه بسبب الانحدار الشديد  
الذى هبطوه ، فسأل : « هل وصلنا إلى مستوى سطح  
البحر ؟ » .

مقال له أبوه : « لا . إن الطريق إلى (أريحا) لم تزل طويلة  
ماننى » .

وشعر (نطرس) أيضا بالصعظ الناجم من الهبوط ، ولكن  
بعد مرورهم من معبود . وأنزل رحاج نافذة السيارة  
بعد آخر . إلى حرارة كانت قد غدت الآن شديدة الوطأة .  
مرح يحلق من الدودة في لمره القاتله رات اللون الننى  
المصر ، ثم التفت إلى (ماريان) بلسا وقال لها في سعادة :

— لا أثر هنا للناس . .

مردب على انتباهه بانتباهه مثلاً ، ووضعت يدها برهة  
في يده المتشعبة بمقبض عصاه الفضى وقالت :

— لقد أصبنا بالمجئ إلى هنا :

مقال لها : « لن يكون الجو هنا أشد حرارة من الجو في  
اللد » .

منحنيه مستدركه : « كل ما هناك أن الهواء سيكون أقل ،  
عند وجود نسيم البحر » .

وعنفت لأذ كلالها بالصمت ، وشغلا بالتفكير في البحر - الساحلي الطويل الممتد على البحر الأبيض المتوسط - إلى (يانا) ، وهو الساحل الفلسطيني الذي يبدأ منه السيل الكبير يكل ما فيه من بساتين المرتقال حتى التلال التي - هابتها ( القدس ) .

أما الآن فلم يعد ثمة فلسطين . وهذا الساحل ساحل عطر حديد امتلح من لوطن القدس - وعند سحر الحديد اطلقوا عليه اسم « إسرائيل » - فلا ذهاب بعد اليوم إلى شاطئ في حر الصيف إن كنت شغليبا - فليس - العبد طيس إلا الملح الأحاج في البحيرة المعروفة باسم - الميت . وهو سركه بحسب من يحارب بحر من البحر - منذ زمن سحيق جدا .

وتراعى البحر الميت على البعد وقد أسسرت حار الشديدة كل ما كان له من اللون ، مثلما استنزفت لور سم ترائى عبر مشهد من الأرض « سيريالى » يحسب - غريبة منحوتة في الرمل المتهاك المتصلب - وأنه لم - من مشهد الأحلام ، هو هذا بحر الميت حتما حار - ساكنا ، كأنه البحيرة المتالقة ، بين جبال ( موتاب ) الأذك - البحر - وس طاب التلال من الدائب الآخر .

ورنا ( بطرس ) إلى البحر الميت في ارتياح ، لأن طيوره تنم على أنهم قد صاروا غريبين من ( أريحا ) و ( أريحا ) هي - الذي يتلطف على الوصول إليه . أما ( ماريان ) فرقت إلى ذلك البحر بأعزاز ، لأنه مختزن في ذهنها بالمرحلة الرومانسية

التصيرة من حياتها . وأنها أذكرى أثره لديها جد ، وأما - بحر - من ذلك البحر الميت سرور ، وهو سكر في إقصاء المعسكرات على شاطئه مع ( أمين ) ، ونورولها للظن فوق مياهه - حده في الشاطئ القمرا . ثم انحنى فوق طير المقعد - بحير العالم الأعلى أين هو الآن ، وصاح بعد ذلك في حصور « ستخطى بأوقاب هنسة مرحة ! عسحر الميت على الأقل سب لنا لا نأزها غيه أحدا ! » .

عبر له أورد مصحح معلوماته : « بل هذا الحساب منه بعد . والشاطئ الشرقي على امتداده أيضا » .

مرحروا - من ومن : « ومن الذي يسمي عسحر إيم - بحر لرائد لعمري ! كان حيا لنا لبقيا ! راح الله ، » .

مقالت له ( ماريان ) من غير أن تلتفت إلى الوراء : « هذا دأبها يا ( يوسف ) ، لا تكف عن الزمجرة . ما من أحد أرغبك على المجيء معنا إلى ( أريحا ) ! » .

و - من البحر - محب دك الرجل إظلاما . وكانت تتساج - دأبها لاد بطيقة ( بطرس ) ؟ !

ويوقار شفيد أجابها ( يوسف ) : « أنا في خدمة سيدي ! » .  
و نفسه يصرس انقصة وإهنة ، ولكنه لرم لصمت - عيب - سح يوسف أن يدهر ويشكو ، لأنه حاد كعب . وكان منهم - عيب آخر - وهو يصرس الأمر لو كان يد ( ماريان ) لطرد - يوسف منذ وقت طويل - ولكن ( ماريان ) - « يا » - كم يصرده رجاءا يوسف خلا من بحيرة بقيادة إيم -

دهو طاه سريع جدا ، ملائمة أن يكون سلوك مثل ذلك لخدم  
التيين متكررا للصحة كي يقدم على طرده . و يوسف إيمان  
لم يحدث منه إطلاقا ذنب يعاب عليه تتحاور لرحمته  
والتهنير .

وحدث روحه (يوسف) الطريحة التي أعطى بها رايها  
ولمهما حول وجهها لتدنى بنفسه عن هذا اللأحي . وكانت  
هي أيضا بونر النقاء في رايه . - (الرب) عدو حاله من  
الجهاد ، إنها بمنه مثل هذا البحر لمت . وكانت حيرة أن  
يقطع هياك في سب آل داود مع ولديها وصلتها بخربس إلى  
أن يرض أو أن عودتهم حرمها إلى اللد . ولكن منها  
مدى زوجها بالولاء للسيد . كذلك على يدس بالولاء لروح

وكان من أصغر أولاده النسيه . وله عدد احماد . وكان  
مراقبا لأحفادها هؤلاء أشد على نفسها من فراق نفيها  
أنفسهم . و (امين) أحب ابنائها إليها بسبب عاقته ، ولأنه  
أيضا مختلف عن الآخرين على نحو غريب ، فهو أحد من دعا  
كثير ، ولدا هتم به السيد اهتماما خاصا وقرر أن ينكر تعليمها  
وأب في معهد مخصص للعباد . ثم أن سمع وس أن السيد  
أمره أخوة .

ومن أمانيهم ذاب كتلة اللال في الطهور . وقد احتفظت  
الحرارة بهالة على البعد ، ومن موقتها أنراح كنائس القديس  
وكنائس إكليل سوح هابتها ، وفي المقدمة ترائى حس لتحرره  
نبتة المسطحة وسط أرض تنمو بها اشجار السرو العالية .  
وفي منتصف الطريق إلى قمته ترائى دير الروم الأرثوذكس .

والتت (ماريان) مبتها ومين نفسها : « إن الرهبان في هذا  
مدير لا بد انهم مشعرون الآن بالانتعاش في حجرتهم  
المحوية في الصحر . . وأما الآديبون (الأقحواص الأصغر)  
الذي يمو بس الأطلال فوق القبة فلا بد أنه الآن دولون ذهبي  
محروق من شدة لمح الشمس » .

وكانت قد سمعت هذا الجبل ذات مرة مع (بطرس) . فقد  
سعد غرايمه في (القدس) . ثم ذهبا إلى (الرب) بناء على رعيها  
لنفسه نسر العسل ، لأنها أرادت أن يضي أو أن يسمع  
حسبته لروحهم تحب سقف ذلك البيت الذي أطلق عليه اسم  
« دار السلام » . ففي زيارة سابقة لذلك البيت في صحة  
نفسها وقع بطر بطرس عليها لأول مرة . فحضر معها ما كانت  
عازمه بصرا على أن يمتننه لذيها من أنها المرأة التي بحبه  
يريد أن تتزوج . وأنها الزوجة التي يستطيع أن يبنى بها  
بعد أن قضى سنوات من التيه العاطفي منذ هدرته . سره  
روحته الأولى . ثم هي فوق هذا ودك أنه صديقه الإبحري  
الحميم « روبرت ملبي » .

يونس مها سعيدة بذلك الزواج ، لا لأن (بطرس منصور)  
رحم مسحيين . بل لأنه أكثر من مريان سنا بعشرين عاما .  
ولأنه ملبي . ولكن ماريان ، كانت مسعدة وهي في سن الثلاثين  
أن تتزوج «نابا» . ذلك أنها كانت تحب بطرس منصور لما  
عنه . صغت تحبها في أبيها . وكان (روبرت ملبي) في ذلك  
الحضر - من اندلاع الحرب العالمية . . . . .  
للعباد من جميع الأديان في (ماف) . وكانت تعرف على يد

مدرسة جمعية رعاية الفيل في فلسطين ، و مركز د .  
لحيمة ، مربي في السن . وكان بطرس - يوسف من أصحاب  
لاملاك البارزين في المنطقة - عضوا في مجلس الإدارة .  
وكان يبدى اهتماما دائما بإدارة هذه المدرسة وتحويلها ،  
مسبب من الرجلين - بعد فترة من المبل المتبادل والاحترام -  
صداقة وطيدة .

وخلال (ماريل) أن الرجلين على رسم من الأخت كيم  
من ش . سيميتشيانس في أمور كثيرة ، أهيئت الإمرال يسمى  
دقة ، للشخصية . وكانت له من عمل في تلك المدة  
جرح من سموات قس زواجا ، مشغرت سعادته نحو بطرس  
من ذلك ، معشيا في الدابة لنا صديق لها وثيمه به من  
وجوه كثيرة ، ولأنها كانت تقدر أترانه . أما ثورات غضبه  
كان يمتعها لديها في طعنه من ذب ، وسحر . وذهب  
سعادته من وحدته الوحده ، ذلك أنه سيجد من  
الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ، وعليه أن يسطر سيميتشيانس  
كي يحصل على الطلاق . وكانت هذه الفرض قد بعصب وحصل  
على الطلاق فعلا قبل التقائها بوقت قليل . ثم إنه لم يبق  
من زواجه الأول بأطفال ، فزاد ذلك من وحدته . وقد بدأت  
الحاططة عند ماريل نوعا من المشقة عليه وعلى وحدته . ثم  
بم ثببت فيها بعد أن سرب لملك الرحد ، لأن حب "طريق  
أهلها كي تستولي عليه يكلبته !

وقد تم زواجها في سنة ١٩٣٤ ، وعاشا في دابة حبيبا  
لروحته في مزرعته (دافا) من حدائق الترتار ، ثم بعد ذلك

استقلا إلى (الد) . وقد ولد أنبينا (أنطون) الذي أسميه  
على اسم جده لأبيه في السنة التالية .

وكان (بطرس) وطنيا متحمسا وبصيرا مكافحا للقوى التي  
تعمل على حصول فلسطين على استقلاله . وكان صديقه  
روبرت (ملي) يعطف على آرائه هذه أثناء العطف ، إلى حد  
رؤسبه "ملي" في مقر الجمعية بلندن كانوا يعتبرونه  
منغمسا في السياسة أكثر مما ينبغي .

بعد سائر المراسلات بين (لندن) و (دافا) قررت الجمعية  
سير "ملي" . وقد راد عباده الذي لا يليق من حرجهم  
سيتيم به . وجه بحق عليهم لذلك الإجراء بل عذرهم فيه .  
"لوقت نفسه لم يكن مستسما أن يصنع غير ما صنع .  
هذا هو شعوره الحقيقي نحو المسألة الفلسطينية .

كانت ماريل تعلم أصب على نحو ما أن أباه قد سر  
سيرة مسجون - برغم حبه أعنف لها - ذلك أن أكثر  
من دافق واحد من أصدقائه العرب شذقوا مسير تشايطهم  
السياسي . وبنق للسياسة البريطانية في فلسطين يومئذ .  
من حزم الموقف في نظره لا يطق . وكانت عودته إلى إنجلترا  
في سنة ١٩٣٨

بقيت (ماريل) بعد ذلك مع زوجها وطفلها في (الد) . ولم  
تسب ثائرا مدي كيرا بالحرب العالمية عند اندلاعها ، ولكنها  
كانت شديدة التلق والتوجس بسبب وجود قاعدة حربية  
إنجليزية غير بعيدة من (الد) في (السويد) . وهناك د مرات  
(٧٢) = (مشرقي دافا) من سبج . (١)

الاعداء تخلق غوتها ، فتطلق صفارات الإنذار بالغمات  
لحويه ويهرع الناس إلى المخاض العامة . ولكن لم يصور  
وخدمهم كسوا بمكنون في بيدهم معتصمين لمور .  
بالتقدير .

وفي الصيف كانوا يتوجهون إلى رام الله فيقيمون في سب  
يستاجرونه لذلك الغرض . أما في الشتاء فكانوا يذهبون  
أحياناً إلى أريحا . وذهب أنطون إلى مدرسة في القدس . ومن  
المعروف دائماً أنه عندما خرج لأول مرة ذهب إلى مدرسته  
لاصدقاءه لأبريكية في رام الله ، وهي مشهورة بدي الحصة  
مائها خير مدرسة في فلسطين) . ولكن عندما جاء ذلك الأول  
كان العام هو ١٩٤٨

وربع سنة ١٩٤٨ هو ربيع السنة . وبلغ عدد في  
مايو الحار معركة ( القدس ) !

\*\*\*

وكانت بلدة أريحا الصغيرة خالية من العلامات الدالة على  
الحرب . فالشارع الرئيسي الضيق الكثير المحلات تطله  
أشجار صغيرة تحبس تحتها الرجل على كرسي بمحضر  
موق الرصيف ، أمام مقاه مفتوحة الأبواب على مصاريعها ،  
وأجهزة الراديو تملأ صوتها من وإحبات الدكاكين المفتوحة ،  
والجدير الحمله موق طاقتهما تسير في تكاسل كالمعتاد .  
وعلى أبواب بعض الحوانيت يقف المسنون من لرحل وفي  
أيديهم مسابحهم الطويلة بحركتها وهم يتنعمون . والنساء

حظوظ حملات فوق رؤوسهم حرار الماء . وصغار الأطفال  
يعتزل - دبلين .

ومصفت السيارة البونك السوداء سبط في الشارع الرئيسي  
لتشقق لها طريقاً بين الناس ولحمي وعزمت البد الحسنة  
وعربات الحر والكلاب الصالة . إلى أن وصلب حيث يتشعب  
بضيق إلى حارات ضيقة تمر بين مجموعات من أشجار  
النفيل وتلات الجهنية الذي يكسو أسوار الحدائق .

وانعطف الطريق عند أحد أركان « جبل التجسرية » ثم  
يمتد السيرة عند بوابة من الحديد المنقوش ، ويرر رجل  
يث الثوب من خوف حص تكاد تحقنه أوراق المور الكسرة .  
حتى وفتح النوافذ . ويرقب السيارة في ممر مهد تردهم  
على جانبها أشجار البحر والسرو والحروري ، صوب سب  
ربيع ذي نواعد سماء له شجرة عريضة في طابقه الأول من  
حبه المطلة على الحبل . وكانت ثمة عوطه برمق على أحد  
جسبي الممر ، أما الحاسب الآخر محامل باشجر البورد والأرادر

وسعدى سلاله قليلة الأرباح إلى شجرة ذات أعينه .  
سب من أريحا يمشي إلى داخل الست . وكان رجل دأكن  
البثرة حافي القدمين يرتدي حلة متكسرة من القيل الأبيض  
يسوق مصدرة تلى تلك الشجرة ، فلما أصر السيرة اعتدى  
في بقمته وثب في مكانه كأنه جندي في حاله انتباه . فلما  
بور مسدده من السيارة رفع يده بالتحية ، فجاء بطرس ويناداه  
باسمه ، فابقسم وأخذ يرحب بتقدم الأسرة وهو يتألم  
سارير .



وبعد قليل سأل سيده عن الأحوال في اللد - فمقدّمهم  
إلى اسماعيل حكايات رهيبة - ثم أعد مقاعد مصنوعة من  
لفش لحلوهم .. وبعد بضعة دقائق جاء بشربة حلوة ربيح  
وزجاجة ويسكي فوضعها فوق المنضدة بجوارهم .  
ها هم آل منصور قد باتوا أخيراً في دارهم .

وكان الجو حاراً جداً ، وامتدح يوسف فاتي بمروحه وصعد  
موق منسيده أخرى بالقرب من الموضع الذي طلبوا ..  
مهمت عليهم منها أنفاس هواء ساخن . ولكن الهواء استرخى  
أسهل في التنفس من الهواء الساخن الذي يكاد يرقق الناس  
ووضعوا كلهم أقدامهم المتورمة والجهراة فوق موكب حصة  
وتركوا لاسترخاء المريح سري في أطرافهم وأوصاليهم .

وكان انطون مشغولاً إلى اكتشاف لعدة لسمعه بعزلة  
على الفطرة في الحديث - وهذا منه دمج بهدوء صمد  
إلى هنا - بيد أن قدميه كانتا تسيبان له الماء شمسداً  
مستلقياً في معدته المصنوعة من لفش وهو يسأل في معبر  
سيكون في مقدوره أن يذهب سائر على قدميه إلى اللد  
الليت .

وبعد قليل خطر له أن يستعير دراجة من دراجات الحدم .  
ولكن واجهته مشكلة « أمين » . ولم يكن الشوط بعيداً  
البعيد إذا سلك المرء طريقاً مختصراً عبر الصحراء إلا  
على المرء في هذا الأوان من السنة أن يحذر من الثعابين  
والمقارب ذات اللدغات المسمومة . وكاتب عدة أفكار  
داتها كاتبة لإضفاء الشويق لكافي على مشي الرحلة

وسأل انطون أباه وقد استولت عليه اللهفة فجأة :  
- هل نعود إلى رام الله عندما يصبح ذلك مأموناً ؟  
فقال له أبوه :

- ستذهب إلى المدرسة هناك في الخريف إذا غدا كل  
شيء على ما يرام . أما أمك وأنا فسنتمكث هنا .  
ولم يشأ أن يصيف إلى ذلك قوله .  
- إلى أن تقسني لنا العودة إلى ( اللد ) !

ولكن .. أين جيش التحرير الكبير الذي سدد لهم  
اعتصمهم وبقى بهم في لحاة اليم ؟ إلى ما مره من الحدة  
حصة لا يؤمن بوحوده في الوقت لحاصر على الأقص !  
وفجأة أيضاً عاد انطون يسأل أباه :

- هل في مقدورنا أباً وأمي أن نذهب منكم معسكر  
تتحسن حالة أقدامنا ؟  
فأجاب أبوه ، قائلاً :

- ينبغي أن ننظر إلى أن نتبين ماذا يحدث في ( لطورون )  
وفي القدس . فان استولى اليهود على القدس على سبيل  
من التدفق صوب الجنوب . علينا أولاً أن ننظر .  
عنه الأيام القلائل المقبلة .



وكان الذي يتولى قيادته إحدى حري المشاة في ذلك القطع  
- عصاع مره - الذي تعرض للاشتباك مع اليهود - صابط  
مصرى شابه اسمه جمال عبد الناصر .

وفي ٢٢ أكتوبر ، وهو اليوم التالي لسقوط ( يثرب ) ،  
وبعد إطلاق النار رسميا . وفي تلك الأثناء كانت القوات  
الإسرائيلية تحرك هابطه من ( عرقوب حوصي ) لدرور  
متجهة صوب ( حبرون ) جنوب أريحا . وكانت وحدة لـ  
العري بعض قواته جنوبا ، وهم إيفاد حبرون على يد انسق  
العري الذي استطاعت دأوريه 'استطلاع' مكانته من سببه  
سدرات مسلحة من قوامه يتبع طابور إسرائيلى مكون من  
ثلاثين سيارة مسلحة في كمين نصيبته له .

وعلى اثر ذلك أقيم الضيق العري مراکز دأعيسة اسم  
قرية الطليحة حوصي حبرون يتبع ، على 'الطريق' إلى  
مصر سبب .

وفي ٣١ أكتوبر أدان مراقبو هيئة الأمم المتحدة أن 'إسرائيل' تسبب  
تدهورا مبرحا قتلوا عسا ثلاثين امرأة وصلوا من 'العرب' في قرية  
غربي حبرون اسمها ( الدوايبة ) .

\*\*\*

وكانت مذبحة هي التي أبلغت نصرى في النهاية نداء عداء  
ذلك الحنبلى الإسرائيلي عليها . وكانت حاملا في شهورها  
الثالث وصحتها معتلة جدا . بل أنها كانت أيضا على شفا  
الانهيار نتيجة للتوتر العصبي الطويل .

وقبل ذلك كان أبوها قد صحبها إلى طبيب محصها وقرر  
أنه حبل ، بيد أنه رفض أن يصع جدا لذلك الحمل بعد  
بواسطة 'الروح' . إذ حس من المخفق حتما - على حد تعبيره -  
أن الحمل حدث له من ذلك اليهودى . وعشسا حاولت أن تبين  
له استحالة أن يربى نصرى في استمرار ذلك الحمل إلى أن  
يسع طلاق لا يكون من صلبه . فمجرد الشك هب كـ  
للزاهة والرفض . ولكن الطيب أمر بعدد على أنه حد  
أن يستوثق من الأمر ، من نصرى نفسه !

وصاحت نادبة بضراوة :

— ولكن من يدري متى سيعود ؟

وتوصل إليه غريد :

— نحن لا نحز على الانتظار إلى أن يعود . لأن الأول  
'المناسب' رب يكون عدسات للأقدام على أى عمل عندئذ !

بعد أن الطيب لم يبرزع عن رأيه . وبعد مزيد من التمهيد  
والرجاء ، قال أخيرا :

— لم يرل في الوقت متسع . وإذا لم يعد روجها في يدى  
شهر ، أعدكما بأن أنظر في الأمر مرة أخرى .

وبعد شهر إلا قليلا ، عاد نصرى !

وكان ذلك الطيب نفسه قد حصل احبته رندا .  
حبلها ، كما خلس من الحمل فتاتن لاحتين فلسطينيتين جاء به  
أبواهما . وكانت إحداهما قد اقتضت 'الروح' .  
عيتى أبيها !.. ولم يكن هذا الطيب هـ 'الدبيب' املد نصرى





— إنه إن يترك شيئاً للصادقة . لن يجرؤ على ذلك .

فهزب أمها رسها بارتباب ، وقالت :

— ليس في وسعك أن تجزى بذلك . فللرجال طمع  
عريية . وقد يثره الفأ منتقلب عليك . ماذا ستفعلين إذن ؟

تالت مادية مبراة :

— سأنظر ! ليس هذا ما غرض علينا نحن الفلسطينيين  
ن نحيد ؟

وتنهدت ماجة . ثم بهضت قائلة لها :

— كل الله معك . سأصلى من أجلك .

وكان هذا الحديث قد دار خارج البيت في الشرفة . وتنهضت  
نادية بدورها وتبعته والدتها إلى داخل البيت . سمعت  
سجدة مسوب المطبخ . بينها صعدت نادية إلى الطابق الأول .

ولم يلبث أن خرج مصري من لحيته يرتدب ما حزنه .  
عددت حبل ، منذ في عني زوجته — بعد أن حقق لحته —  
أقل شحوا وهزالا ، ومرة أخرى أحست بمبلغ وسامته .  
فازداد خفقان قلبها وتوجسها .

وقال لها مصري يطمنها بأسها :

— ما قد أصبحت إنسانا حديدا .

ودلفا إلى حجرة النوم معا ، وأدار مصري المفتاح في الباب ،  
ثم أخذها بين ذراعيه وقال لها سائلة :

— ما أطول وأشد ما اشتقت إليك ! لن مصدقني فيها قلت  
لك ! وعندي انصرتك تهبطن لسله وبحرس على رجلي

حديقته نمرؤسه بالحصة . المونة لتسقيلي . شعرت أنك  
في . ثبي من في وقت مضى !

وبدلا صلاب عبقه ، وسحب قلبه سبق لقد عسى . وه  
عب القمه الحاره ضبه . الحرق شمع مذهب برقي صوب  
خرش . ولكنها اسعدت وفد خير لوب . كبر الشدد .  
وقالت له بصوت أجش .

— نصري . عندي ما أقوله لك . وانه رعب .

وفي هذه المرة كان الحقان العنيف صادرا عن قلبها هي . .  
وحلق فيها منتظرا . ولما لم تنكلم ، سألها وقد اعتراه  
الخوف فجأة :

— ما الخبر ؟

نقاب في الم شديد :

— عندي اعتقل جميع الرجال في ذلك اليوم المشنوم . جاء  
خمس . عدس إلى البيت وطلبا ماء ليشربا ، وقالوا إنهما من  
حدر . . وفرت إليهما « رندا » بالماء ، فجرها أحدهما  
.

وبوقفت عن الكلام . وراح ذهنها ينقب عن الالفاظ المفاسدة  
سنة . من عه . ووقعا مره ينظر كل مهب إلى  
آخر معق وعزع . ثم اشاحت نادية بنظرها عنه كي تحدد  
في نفسها القدرة على مواصلة الكلام :

— جرهما قسرا إلى داخل حجرة . وسبمناها تصرخ ،

سرعف أن ومريان نهبط السلام .

تسعد حس تحدى الآخر على علوة

ونظرت إليه مرة أخرى ، في نفس ٠٠ وبعد قليل تحت  
مضوت مرتجف حاد :

— لقد قاومت وناضلت ، ولكنه كان شلاليا وكان أقوى  
البنية جدا ٠٠

وفجأة استطردت من غير مناسبة أو اتصال بما قالت آنفا :  
— إنه لبناني أمريكي .

واستمر يحلق فيها من غير أن يتكلم . ومعدة بعد  
براكينها ، وصرخت فيه ، قائلة :

— لا تنظر إلى هكذا ! لم يكن لديك دنس ! لا تصدق  
أنا الآن حائل في الشهر الثالث ، وكاد الحبور يطبق علي .  
فرط القلق والاضطراب ! يجب علينا أن نعمل شيئا بوحسبه  
هذه النكبة . وثمة طبيب ممتدع إذا وافقت أنت ٠٠ إذا  
ذهبت معي إليه أن ٠٠٠

وترنحت ثم هوت على الفراش وهي تنكي بكاء هسهة .  
وفعل نصري واقفا يحلق معها . ومجدة شعر بروده نسيدة  
تسرى في أوصاله . مع أن ليوم كان حار — عارتج وجهه  
عباءة خليل حول جسده محرره تلك التصرع من سنانة ، وراحه  
نحو السرير وحلّس عليه بجوارها ، ولكنه لم يلمسها .

وبعد برهة صمت قال لها :

— لقد كان من رأيي دائما أنه ما من امرأة يمكن أن تفتن  
رجل معير إرادتها . فكيف يمكن لرجل أن ينال رجلا

امرأة إن هي ثابتت على الرقص والمقاومة ؟ أنا شخصيا لم  
أفلح في ذلك ، فلماذا يستطيعه هذا اليهودي ؟

مرمعت رسيا عن الفراش وحقيقه فيه مشدودة ، وقت  
له :

الا تصدمي ؟ يحظر منك اني من لمشر أن سلمه مسي  
لحدي بيودي عني عدا الحو محض إرادتي ؟ لقد كتب  
ريدا " في تلك الحرة داتني في ذلك الوقت . وفي رسلك  
تسالها . رن الجرس ! أرسل في طلبها !

ولما رخصه : بحرك منك حاول أن تتحليل على  
وعاشر الفراش كي تصل إلى زر الحرس بجوار الباب  
ولكنه أمسك بمعصمها وقال لها :

— لا ! أنا أصدقك . طبعيا أنا مصدق بما قلت ! ولكنه  
شيء رهيب جدا ! روجي أنا يعتدي على عرصها رجل ٠٠  
ورجل من حثالة اليهود ؟ يا إلهي !

ودمن وجهه في راحتيه ، ثم نظر إليها في إشفاق ، وقال  
في تلك الليلة لأخيرة من أن يأخذوسى ٠٠ كن ما تعلم  
بيننا . فمن الجائز أن يكون هذا الحمل مني .

عفتت في حق :

— ولكن لا أستطيع أن نعلم . ولا يمكننا أن نقطع  
على وجه اليقين . يجب أن نذهب إلى الطبيب يا رجلا  
ويسرعة ! أنا الآن في الشهر الثالث



وهدت قدميها منسجف وجهه الشاحب . وقالت

بحسري ! شديداً اشتغيت إليك ! شديداً اشتغيت بمر  
اجتماع شملنا من جديد . .

منازل يدها تلك وضعتها على صنعة خده ، وقال :

— أنا أيضاً كنت شديد الشوق إليك . ولعل شوقى إليك  
كان أشد من شوقك أنت إلى .

وقبل باطن يدها . ثم فجأة نهض وقد ثارت مراحله :

— ألم يكف اليهود ما صنموه بنا . وقد اعتصبوا وضرب  
وديارنا وأراضيها ؟ هن كان لا بد لهم أن يعتصبوا سباً

جداً

واتجه عبر الحجرة إلى مائدة الأزيئة ففتح صندوق مسجائر  
البحر خرج منه سيجارد مشتعلاً . ثم قال بعد أن حذب نفسه  
بها :

— وهو كذلك ، سنذهب إلى الطيب وسيجهضك . وبعد  
أن أطمئن على سلامتك سنوجه إلى بحر الخردوس . مع  
البحر العربي . نجه نحده هناك إلى رحال . وبعد  
الحظ سنقتل بضعة من اليهود قبل أن يفتنى القتال

وبعد لحظة سألها :

— وماذا حدث لرنسدا ؟

مناخاته ناديه :

— أجهضها الطيب . ولكن الشاب الذي كان على وشك  
الروح ممياً يقول لأن أنه لا سمس إلى ذلك الروح بعد أن  
تقتب مكارث . سببه من الفلاحين المتزمتين ، ومن تقاليدهم  
أن يرتقصوا ليلة الزفاف بالمدبل المخصب بدم بكارة العروس  
على دقات الموسيقى . وحيث أنه لا دم هناك لتخضيب المدبل  
غلا عرس ولا زواج !

عزوى نصرى ما بين حاجبيه ، وقال :

— إن التقليد في هذه الأمور مستطاع وميسور . فهناك  
كثير من وسيلة لتطليخ متديل العرس بالدم !

مأجابه ناديه :

— أعتقد أنه راقد في الرواح منها الآن . لأنه سيذكر كلما  
جسه ب ذلك سيودي لدى سمعه إليها مكان أو من عرسها  
و'رداد تقطيب نصرى ولم يتكلم . وعابده الشعور بالبرد  
وارتجف ، فقال لها :

— الأفضل أن البس الآن ثيابي . فاني أشعر بالبرد بعد  
الحمام الساخن . ساعديني على اللبس .

نهضت ناديه عن الفراش وتوجهت إلى مائدة الرينة حيث  
مررت المشط في شعرها ، ثم ثالت بتلد :

— ينبغي ألا تصاب ببرد . ها هي الثياب المعدة لك .  
وسأضئ أنا إلى المطبخ لأرى ماذا يدور

\*\*\*

وبحرد أن استطاعت واحدة الطير بانتهاء من جلود - بعيد  
عن المطبخ المزدحم ، سألت نادبة بثلث :

— هل كل شيء على ما يرام ؟

فأثارت لها نادبة بشرود :

— نعم . وسنذهب معا إلى الطبيب .

فستكت أمها برهة ، ثم سألتها :

— ولكن من جهة أخرى ، ألم يحقنك ذلك عليك ؟ ألم يجهك  
وزر ما حدث ؟

فبادرت نادبة تقول لها :

— لا . مطلقا !

بل واستطاعت نادبة ، ريادة في طمسيه . . . . .  
تسببه على الاعتراض عن انتمائه صغيره . . . . .  
مأحدة :

— أشكرك اللهم ! ما أكرمك يارب !

— هكذا أقول دائما لأبيك . ولكن أبائك شيء دائما ان  
يصدقني وأن يؤمن برحمة الله !

## — ٨ —

عدت مأدنة حصه في ذلك المساء احتفالا بعوده نصرى من  
مبقتل اليهودى . ولم تكن مدينه مأخره كمدب الأيام  
نحوالى ، لأن النقص في الأقوات يهدية رام الله كلن شديدا  
جدا بسبب صغط الألائين وحاله أخرب — برغم دقت  
مبسات اعسكرته — ولكن العمل المشوى التقليدى فسد  
صحيحا على الماده سكرته ، بها في تلك التراس ، موق وساده  
صخبة من الأرز المحمر بالمكسرات . .

وأصلت « منى » تليفونيا بدار السلام — في مدينة أريحا .  
— . . . . .  
سار مسحه على ما يرام . . . . .  
تأ قال لاحته . وركب جليل سيارته إلى القدس سائى بوالدى  
نصرى وبقيته الأقارب الذين يمشون في القدس والأماكن  
محسنة بها ، ولم يكن يشارك أصهاره في تخوفهم من دخول  
لمدينة المقدسة .

وتال رجال الفلق العربى معالهم الأنص والآخر موم  
مم تحصينات أسوار المدينة القديمة التى ترجع إلى القرن  
سادس عشر . وكان من الضرورى أن يتجنب جليل الدحول  
بر بوابة دمشق ، لأن كنيسة البورداه التى تقع تحاهها — وأبى  
مرتها المعارك — ثم قتل في أيدي القوات الإسرائيلية التى  
سست لمذامع الرشاشة على تلك البوابة . . . . .  
وهي منطقة مشهورة أيضا بكون إعتابية فيها . . . . .

القصص يشكون النسيم ، ويدرسون نسمهم نسيب النسيم  
العرب بأنهم ما زالوا هناك ، يوجهه القذائف إلى ساحة  
يمرون في الرحبة التي أمام اليوانه . حمارهم ، يهيمه حمارهم  
الحائط !

وسلك جلس الطريق مار مار الملحفت إلى من سيع خ -  
شمالاً ، ثم أدار راديو السيارة على محطة إسرائيل التي ك  
يدعى لإدعتها في شميم مبروح بالأل سيع براب ،  
كل يوم . وإذا صوت رجل ، وإن كان محبوباً ، س  
العربية الفصحى معلنا ضرورة الاستيلاء على ( العقبة ) ،  
المساء الواقع على الخليج المعروف باسم سد رس الس  
الأحمر ، وفي الجيوب الأتصى من ( النقب ) ، وهي المنطقة  
التي منحها لليهود مشروح القسم الذي أقرته عليه  
المقعدة .

وما أن سيع جلدك حتى أغلق الراديو حرمه نالعه  
آخر مبعد لشرق الأردن على لبحر الأحمر بعد أن سلت  
وجهها موانئ فلسطين لسلووه على السد لانبص  
واستمر جلدك في طريقه بسيرته إلى من ومه من د  
رأه الله عند مسلا حديده مخرمه نقيم بها ، وإذا سحر مع  
نقر من دوى قرابتهم الأذنين . وكانت الشمس قد جنحت  
للعروب في بهاء أخاذ ألقي أشعته القرمزية المذهبة على  
لمسب والمآذب وأكراج الكاسات البضرية في سماء مقدس

\*\*\*

سواء مني من أحيها الأكبر بطرس أن يعتذر من عدم المقدوم  
إلى رام الله طيبة لدعوبها . كها ساءها مبه قتل شهير أن  
رجل إلى أريحا عداة وصوله من اللد . وكانت واثقه أنه  
رغى الحصور لأنه لا يريد ذلك . لا بسبب ثوعك صحنه  
كب غال . والحق أنه لم يحب «خلل» في أي يوم من الأيام .  
وهو الآن حائق عليه لأنه لم يسمه أذى أو حسارة من تلك  
المساة الوطنية الفلسطينية .

ولم يخفف من حدة غضبها ما أكد لها أخوها مريد أشد  
التكبد من أن بطرس نادى صحنه كثيرا جدا منذ تلك المسيرة  
الوحشية من اللد عبر البرية . وقالت له ردا على ذلك :

— من عادة بطرس أن يدعى المرض أو الفوعك كما وه  
في ذلك ما يوافق هواه . أن حالة غلبه ليست من السوء كها  
مدعى ، فقد مكنه من تحمل تلك المسيرة بكل مشاقها . حيث  
هلك فيها كثيرون لا يدعون مثل علقه . أنه يريد دائما أن  
يعمل ما يحلو له . وبلى أن يفعل ما لا رعبه له فيه !

والواقع أنها كانت شديدة الغضب عليه لأنها تحبه أشد  
الحب ، ولأنه أذى شعورها . ولكن « فريد » كان على  
عكسها شديد النقي على صحة أخيه بطرس ، وقرر أن يذهب  
رأيه لإخمده عليه بمجرد الفراغ من مشكلة ناديه  
والاضمان على صحتها ومسيرها . ولعله يتمكن من الذهاب  
إلى هناك في عطلة آخر الأسبوع مع نطون الذي دخل بفرسه  
أدب بـ مركبه منذ سيمير .

ر م ت

أما نضري فقد أسعده كثيرا أن يرى أبوه . ولكن مما عدا ذلك لم يشه كثيرا سواء حصر بمرس مبصور أو غير مبصور أم لم يحسروا . بل إنه في الظروف القليلة التي يجتازها كان يعزل إلا أمام عمله على الإطلاق بمهنة قديمة .

أجل أنه عاد إلى أهله بعد غيبه طلال أمدها وسأله  
رسائلهم فيها انطلق ولكن رجوعه إلى زوجته وحصله  
يتمحض من تحقيق حلمه الذي عاش فيه تلك السنوات الثلاثة  
بل بقي نفسه يعيش في ذممه كمنوس مروع صر صر  
الخلاص من عذابه لينطلق بعيدا مرة أخرى . . بعيدا إلى  
عمان ، حيث يدرب في صفوف الملقى العربي . ثم يصق إلى  
أي مكان يوجهونه إليه ، بشرط أن يتمكن من مصه عدو  
يقتل ويقتل .

وكانت ناديه مانته حدا شعرها الناعم العريض ووجهها  
اشباح الميساوي وعينيها الواسعتين . كانت جميلة في  
عدوه . ومع ذلك ماته كلها بصر إليها الآن تذكر على لغة  
ذلك الحسد اليهودي الشاب وهو يقدمسى بنفها النص .  
ونفى حسده فوق حسدها . وبالياء . ونفى بسببه افتد  
منها . ينكر هذا فتقلى نماؤه ولا يفكر في شيء مسوز  
لاطلاق . الاطلاق ليقول ويؤمن عليه بسفك دماء السباحين

ولكم قال لعيسى منها تعذمت أكثر مما تعذب بك أنت يا  
ابن مريم وأول من أحبه أن يرحمها ويرثي لها ، وأن يمتلي  
قلبه ويتنفس بها لها وحيداً عليها . ولكن سائر هذه المساء

كَيْتَ تَدْرِي لَيْتَ لَيْتِ . وَفِي مَعْنَى : يَشْعُرُ شَيْءٌ أَنَّهُمْ  
 كُنَّا هَذِهِ أَمِيرَةً لِحُكْمِهِمْ . وَلَا يَحْدُودُ الصَّغِيرُ فِي هَذِهِ  
 دَعَاؤُهُ الرَّقِيقَةَ .

انه يفتنى الآن ان تنتهى هذه المادبة ، لان قلبه عاجز عن  
شركة عب . ومع هذا فهو مضمى من لس . ومن رثاه  
بار الحسد ماحر من الحواف مع روحته والاضراب منها . .  
فى ضوء ليله ارميه حبه . ب روحته وحسده  
ولاء . ايا حبه وحبا . ولا لب ليا بل هى مضى  
يا . ولكنه لا يستطع ان يسى به عرمت رجلا آخر ،  
هذا الرجل ينتهى الى العدو !

أما انطون فكان مستشار النفس لمرأى نصرى مرة أخرى .  
 وقد رآه أنه معه شخصيه ورومانيه خلوصه في نظره .  
 قد خلد ليهود بنى معسكر الاندلس وشتت بلمسك  
 سرح حيا بها وبعد اليوم قصص عليهم محبة الله . ثم أنه  
 غمره روحه بنسبه أو ينطق لعربي ويعبرون في أسماء  
 ليهود إلى البحر . أن انطون لم يزل مؤمنا - شاته في  
 بيت شى بعض الفلسطينيين أن إلقاء ليهود إلى البحر  
 أمر محتوم الوقوع . لقد كان طول حياته يحب نصرى  
 ونصرى يحبه أيضا . بيد أن نصرى الذى عاد اليوم إلى  
 به أنه يخلف كثيرا عن نصرى الذى سمعه . إنه لم يعد  
 يرسل صحفاته المرحه أو يكانه ومراحه وتبرجسه . به أنه  
 بعد نسيم ولا يتكلم إلا إذا وجّه إليه الكلام أحد . . . وعندئذ  
 معهم يضع كلمات ثم يسكت . لقد أصبح أكثر حياء  
 بعينه أكثر حدا .

واستقر رأي يسيون على - حسب في ذلك ما عايناه نصرى  
على يد الإسر بلبين ، وبعدهم غدوة - وسكنوا على ما سره  
عندهم بمعنى في البيت ببرد من الوقت مع بانه رحيل .  
وبنت عمه ناديه أيضاً لاحتل عليها احتلاماً شديداً منذ جئوا  
إلى رام الله - فهي كذلك لا تصحك ولا تضحك ، بل ولا تلاعب  
الطفلين . أنها على قول زوجة عمه ماجدة سب على  
ما يراد صحياناً ، وقد تجرى لها جراحة ، وهم ينتظرون عودة  
نصرى كي يذهبوا بها إلى الحراح ليشفيها مما بها .

ونجاة عاد نصرى - وشرعت عمه وروجة عمه في العمل  
بمساعدة بوجاهن الخاديات وأحدة وبصبراً اسمه لؤي .  
من اسمه شركاً شخصياً في أعمال المطبخ إنجازاً للولادة  
من اسمه ومنه على نصرى جميع لأقارب والأصدقاء .  
ودعوا للعمل . لا ما اسمه ذلك نحو الاحتمال بعد ميلاد

لقد خيب آمال النطون كثيراً والديه لم يتمكنوا من الحضور .  
وانسحب لقلبي على أنه أدى له من صحبه على ما يراد من  
فاندروا اللسد . ولكنه عندما قال ذلك لعفته « منى » أحاطة  
متسائلة فيما يشبه الغضب :

— وماذا تتوقع أن يكون حاله وقد أصر على البقاء هناك  
في ( أريحا ) طول الصيف ؟

ثم لم تلبث أن أردفت :

— لا بد أنهما مجنونان .. كلاهما !

ولكنهما لم يكونا مجنونين - في نظر الصبي الحزون - بل

مع شغبان فقط ، محطها القواد ، وعندما يكون هذا حالك  
ماتك تحب أن تعتكف في دارك . ودار السلام هي دارهم  
حقيقيه . عمهم الح روح عمه خليل على يده غلبا .  
دارى هي دارك ! « في كرم عربى أصيل صادق ، عالحقيقه  
الواقعة ان هذه الدار هي دار آل داود وليست دار آل  
بصصور . وبطرس منصور - كما يعلم انه تمام العلم - رحى  
معود على الأمر والنهى في داره ، وعلى توجيه حذمه وبصره  
على بيته على طريقته الخاصة . ولا سبيل إلى أن يشعر  
إلا بأنه « صيف » فصب في أى دار غير داره ، ولو كانت هذه  
الدار دار روح شقيقته !

ولهذا كله كان النطون يدرك انه من الأيسر والأحدى على  
بيته أن يطل في رحله إلى بيتهم الأصغر ورعه حراً .  
عنه في فصل الصيف .

أما هو شخصياً غلب على الإقباله في رام الله في الوقت  
الحاضر . بعد أن غلب على شعوره بالخوف من هجوم اليهود  
عليها . فهو يحب مدرسه الأصدقاء الأمريكية ويهرجه ما يقال  
عنها من أنها حرة مدرسة في فلسطين بأسرها .

والحق انه سرعان ما أخذ إلى الاستقرار في رام الله ،  
بعد أنه شعر بالوحدة والافتقار إلى الأصدقاء منذ رحل أمين  
للدخل مدرسة العمان في بئر سبع . وكان بطرس قد رتب له  
في المدرس . وبعد ذلك سعت علاقته سبب عمه بمجرد روال  
غشاه الحياه الأولى لدى أسرته .  
يشعر بحرارة الصداقة حتى بالنسبة إلى ناعب منى منذ

سنة ، إذ لا يسعه أن يذهب مع هذه لإقامته معسكر في الحلاء  
أو لمدابحه . ولأن نصرته في الإقليم بعينه كره القدر .  
فصبرى لأمر سنة ومن نبات جليل دود علانه بقوله على  
السماح المسافر . معي لا سألته وهو لا يأنلني . ما مودع  
صدقه فلا محز له فيما بينهم . نهي في النبات حذره  
بهن ، وما أبعد هذه النفا عته وعن تكبره . وفيما يختص  
سائر الأمور بعلمه كال الباعد بينهم بها على نحو ما جرى  
به انعرف من التفسير بين الحسب في كتابي مفصل .  
أيام الأحد تمها . .

في وعمة عشاء جلسنا لصاب مع زوجته عمة . .  
ويمر آخر من اعيان النساء إلى مائده صمرة في سحر  
بسمه بحجرة الطعام ، لأنه لم يكن هناك يتسع للجميع على  
المائدة البيرة ، وهكذا بذ الولية ونها قد نسبته  
لبعته إلى برقي برحال والنساء . ويرى كل ربي حمر  
- عمة سنة ومن بعته أن حد من تشر انعرف لم  
العنق لدي دعي إلا أن يثب وجوده . .

وجلسنا نادية بجوار نصرى على المائدة الكبيرة ، وجنبت  
مى وحليل معي في الوسط . وبيننا صوم سعيدا ملحوسه  
جوار نصرى من أحد جانيه ، وإلى جوار عمة غريد من الجانب  
الأخر ، وعمة هو أقرب الناس وأحبهم إليه بعد أبيه . وقال  
الجميع نهب لخصاره إن لم يمكن بطرس ومارس .  
احضور .

وقيل أن مدعى الجمع للجلوس إلى المائدة أثقلت على

حتى بنت نيمس الكرى ومعها عمامة نسك بها من دعي ،  
وقال له :

- هذه هي صديقتي « ثريا » . وهي زميلتي في المدرسة .  
وولدها هو حكيو ساما الذي يعرف والدك معرفه ونقه .

وكان انطون يعبر تقديمه إلى أي إنسان ، ولا سيما من  
الجنس الآخر . مثله يخته له ، بيد أنه أرغم بعته على  
في العمة ومعهم بعده من العبارات المهينة المتعارف سبه .  
وبت له انقاء من السوع العادي جدا ، ولا تثير اهتماما خاصا ،  
عند عدا أن ما يعرف أناه . وسأله انطون على . .  
التأنيب :

- هل أنت من ( اللد ) ؟

فاجبته ثريا ، قائلة :

- لقد ولدت هناك . ولكن أسرتني انتقلت إلى هنا بعد  
ك لحليل . وقد حضر وادي يرى بطرس بك بحر  
سمعا بوحودكم عدا . ولكم كنتم قد رحلتم إلى أريحا

ساما انطون :

- وهل والدك موجود هنا الليلة ؟

فجالت ثريا :

- لا . فهو الآن موحود في أمريكا لحضور مؤتمر على .

وعندئذ قالت له بنت عمة في افتقار :

- ثريا سوف تدرس الطب .

وضحكك الفتاة في خجل فبستت اسنانها الك  
المتناسقة . وأجس انطون على العور انها اقرب إلى القبح .  
وسمها تقول :

— اتمنى ذلك . ولكنى لا ادرى هل اطيع .

فكانت صديقها في ولاء وحماة :

سبع سمع من احد ان يوهى سمع من  
دمك . . من بها هذا ما انطون .

فقال لها انطون بارباك !

— نعم . هذا صحيح .

وعندئذ احس ارتياجا كبيرا إذ أعلن ان العشاء قد اعد .  
وان على الصبيح ان يجلسوا إلى المائدة . واثناء ناوون  
المدعوين بطرب ابناء صوب انطون عدة مرات . ولكنها لم تفتح

في راحة العشاء

وقدم خليل لضيوفه شراب العرق . وشيئا فشيئا حلت  
مقدمة لسان الرجال وانطلقوا في الاحاديث ، ما عدا نصرى  
الذى لم يشرب من العرق إلا مقداراً قليلاً جداً وظل صامتا ،  
وهو يدعى كان محروما من العرق . من كان من العرق كذا .  
لان تتألق عيناه ويبدو عليه ان محروما عذابه .  
الشراب لآفته تبهج قلبه وتثمله !

وشربهم الرجال نخبه . متيقن له استعادة العافية  
والاشراج . مرحس يعود . رحس به حبيب . عالج به  
العيلق العربى . وأن يعود مرفعا إلى بيته في ناء . وكان في

من مر . يعزل لهم : « شكرا » ثم يحضى لهم انحناءة  
. رغو محض بعض شى . كمن كان في سبات ثم لكزه  
أحد ، ينقطه مرة :

واخيرا بلغت الوليمة ختامها . وكانت الوان الطعام الكثيرة  
موضوعة كلها على المسائدة في وقت واحد . وانتقل الجميع  
على الاثر إلى حجرة نسيحة صفت فيها المقاعد والأرائك حول  
حضر . يحضر من نسيح . يسيم في عريش . كل حصى  
. سعة . وقامت القهوة التركية الفواحة بما خالطها من دور  
أحوى . في حصى صرة . ووضع برحلات في

من بدحها من ارجال . محفل مؤلف يرسل بماء  
مرمر حصة . وقد لاحت حمة عة بحدتها . مؤ صفة من  
لهيئة كذا إلى حدة حرة . وكذا مسيلحة

ومن بعد عدة وحيدة كثرت مررب صفت في سب الد  
ساجدة . لأن وجوب الشاب الذي اجتمعوا لتكريمه والاحتفال  
بسلامة عوفته ، وانصرافه عن سهرهم ومرحهم ، جعلهم  
يشعرون بعدم الارتياح !

وكان هؤلاء الرجال لا هم لهم إلا المناحيث في موضوع و حد  
صحية صمغ في الوقت الحاضر . الا وهو الموقف الحرجى .  
رحبات بحصى القوة الصبره لمحسورة . لياووح بهد  
نصحه لاند سلوى تلك المتعلقة ، وما حدث للجيش السوري .  
وما كان ينبغي عمله فيما مضى . وما ينبغي عمله الآن . وعسى  
من بقع اللوم ، وما المنتظر حدوثه بعد .

- 9 -

كان الحديث في حيلته هو الحدث المألوف كمنبأ اجتماع  
عربيين أو ثلاثة معا .. وكانت المناقشات تدور من غير  
أن يصل المشاهور إلى نتائج - ليست جيدة جدا - وفي أن  
لا أحد منهم يدري شيئا على وجه التحقيق عن تلك الأمور  
دوما .. وأما المسألة التي تدور في أذهان بعض يحد  
رحة في نفس المكرهه بما سعى من طلال اليوم على هذا  
مريق أو ذات .. من قائل لو فعل العربون كذا .. وقائل  
لو فعل اميلق العربي كذا .. وقائل لو فعل زرق كذا ..  
.. في هذا النحو معي مؤهله هؤلاء الجاهل في القضاء  
يؤمنون بحيلته باسم القضاء المستعجل في بعض  
الفتل !

وكانوا بين الحين والحين ينظرون إلى نصرى - وهو  
أحدثهم سناً ، فيها عدا ائطون - وقد جرب بطريق مباشر  
أشياء كثيرة ، ثم هو على وشك إحدى هذه الشراك في  
مخاطبتهم . ( إذا أحاج الأمر مستملاً فقال : لم سمحت بذلك  
ظروف السياسة الدولية ) - وينتقمون منه أن يدلى برأيه  
ويشرك في المناقشة . ولكنه كان لا يدلى بشيء لأنه لا يحدد  
نبيه بما يقوله ، فمثلاً عليهم صمته . وإذا ما تصوروا به  
ينظرون الإلهام والحماسة ، ألوه صورة محسنة لتخاذل  
ضعف الهمة !

وَجَاءَهُمْ «رعداً» بَصِينَةٌ مُمْتَلِئَةٌ بِأَكْوَابٍ حَمِيرَةٍ بِنَا شَايَ

من . وأسير مصري فرصة انشغال الحاضرين بهذا  
شأن ، فوزعهم عليهم ففر من الجبرة ، وقالت نادية  
ستدل عن بطول معارضة الجماعة . من كانوا عن كتب  
بأنه - أن حالته العصبية سيئة للغاية بسبب ما عاناه في  
مصر . وأبدى كل واحد منهم عطفه عليه ومشاركته  
وحذره له ، ثم استأنف الجميع ما كانوا يصيبدونه من  
الحديث . بدأت أساء الكلام . ثم سعن الرجال ، وكما  
وحي أنهم ارتاء لخال مصري أن سحنوا في موضوع تلك  
سنة بني سمح الإسرائيليون بها عليه أبعث ، وبطرقوا  
بعد ذلك إلى الحديث عن الموقف بصفة عامة .

أما سببها فإدراكه بأن قلبها على حاله روحها ، ففعلها به  
تعبير به خو يجب من النور الذي أوحده لديها مملكة  
الملك إلى حبيب الأصلية كل ذلك جعل الحب ، يبدو  
الها وكأنه لا يؤمن بالنهاية .

«سرت حبه لعرسه متشكف به وراحت صب عسها  
إلحاح منى مصرى عما اعتربه من الإحباط فى سك  
التيق العربى» فهو بحاجة ماسة إلى الراحة واسترداد  
عافيته المنكبة.

ورث سببا مالية من مصرى مستصع ما يريد ، وأنه كان دائما مطلق التصرف في أمور نفسه ، لا يصفى لتوجيهات أحد . ثم استأنفت في القيام بتمشيط علي الألبان مما تسه يستتظر عادة في نحو هذا الوقت من حين .



وذهبت بالفعل إلى حجرة الطفلين وألقت عليهما ..  
سريعا موحدتهما بغطس في نومينا كما نوتعت . ثم ذهبت  
حجرة نومها وقلبها يدق دقا متلاحقا خوفا من أن لا ..  
نصرى هناك ، وهي في الوقت نفسه تخشى أن يحد ..  
هناك ! .. وفتحت الباب في خوف . وفي ضوء الصباح  
الضام المائل بعلاه حمراء 'جوار' 'الرش' . استطاعت ..  
تقدير هيئة نصرى مسبقا بكامل ملابسه حتى يسمر . ثم ..  
مقد يديه تحت رأسه ، وفي الحجرة رائحة سيجار نفاده ..  
تقالت له بعصبية :

— لقد تساءلت أين أنت ، وحسبتك أويت إلى غرائبك .  
مقال لها :

— كان لا بد لي أن أسرد سمعي . بعد حرب من ..  
اللقاء منهم أكثر من هدد .  
— ولكنهم حاربوا حمدا لبروك . وسيد وذاك ..  
'الاقارب' !

بأجابها وهو راقد :

— أعلم هذا . ولكني لست مستعدا لمقابلة الناس الآن .  
وذهني مثل بالأكار كما تعلمين .

توقفت تنظر إليه مبردة ، وبعد برهة قالت :

— لقد اتفقت على موعد نذهب فيه غدا في الساعة  
العاشرة معا إلى الطبيب . أنه صديقك القديم « هريد » (١) ،

(١) هكذا كنيته المؤلثة (Harid) ، وقلبه يحرق في حرب

وهو سره أن معلم نبا عودتك إلينا ، وهو يبعث إليك بأطيب  
تمنياته .

ولم يعلق نصرى على كلامها ، فأردفت :

— وهو يرغب في إيقائي بعيادته أربعاء وعشرين ساعة .  
وعندئذ سألها :

— هل يتوى أن يقوم بإجراء الجراحة غدا ؟

فأجابته :

— نعم . إذا طلبت إليه ذلك .

مقال بمرارة :

— سأطلب ذلك إليه . فليس لي في الأمر خيار . أليس  
كذلك ؟

تقالت له بصوت غير ثابت كل اللغات :

— لا خيار لكننا فيه ..

شعرت بأنها لو استطاعت أن تلقى بنفسها إلى جواره  
وتضى بحسب تغير تصوف تحف كل ما تعانسه من ديز  
أعصها . بعد أن يرد صوته أشعرها بأنه لن يبق منها هذا .

وتحولت مبتعدة عن الغرائش قائلة :

— لا بد لي أن أمضي لتحية كل هؤلاء الناس تحية المساء .  
وسأبدي لهم عذرك ، وسوف يذكرون . أما والذاك  
فسمرهما في الصباح ، لأنهما سيقصصان هذه الليلة هنا .

وعادت إلى القاعة التي بها المحفلون . وعندما لحقت به  
بعد ذلك الفتة قد خلج ملابسه وأنشأ في الدرائس ، إذا ..

أر . . ولم يكلها حين دحمت الحفرة . مسأله بصوب  
د ص

— هل ص ؟

صحابي سي لمور :

— لا . كنت سؤقتك أن تحديني ص ص .

قصة له .

— لا . لا . طبعاً لا .

وأرادت أن تطلب إليه ابتداء الصباح ، ولديها ص ص  
مولد ص ص . ملعب ص ص في ص ص . ص ص  
ص ص . وص ص شعري على ص ص . ص ص ص ص

ص ص ص ص . كان مستقب على ص ص ص ص  
رأسه . وبعد بضع لحظات مدت يدها ولمست خده بلطف ،  
وتوسلت إليه :

— نصري . كيف يمكن أن يشوب ما بيننا شيء وكل منا  
محب الآخر ؟

ص ص ص ص وأبقاها في يده . . ثم قال :

— لأننا بشر .

ص ص ص ص له :

إن أحساسني من نحوك لم يتغير منذ يوم رواج ص ص  
ص ص ص ص إلى أحد ص ص ص ص ولو للخطوة واحدة . ص ص ص ص  
ص ص ص ص

Looloo



وشعرت بأنها لو استطاعت أن تلقى بنفسها إلى جواره وتلقى  
تحبها الفنان فسوف يصف كل ما تعانيه من بوتر أحساسها

ماحباها :

.. انى اصدقك . ولكنى على الدوام لرى .. اوه . انت  
تفرين ما الذى اراه . وليس فى وسعى ان اخرج هذا  
ادى اراه من دهى . لا أستطيع أن أفكر فى الحب بعد الآن .  
كل ما أستطيع الآن التفكير فيه هو المضى من عهد ..  
القتال .. لأقتل كل من أستطيع أن أقتله !

وتقلصت راحة يده على يدها بعنف ، وكانت حرية ان تصرخ  
من غمط الألم ، ولكنها لم تصرخ . وألح عليها قائلا :

.. حاولی ان تمہیں •

مَقَاتِلُهُ :

— انہی اُجاول حقہ . .

ثم أردت بضعف :

— آفت تۇلىنى .

\* بحسب تقديره مايلاً

• آیف

وانقلب على جنبه فصار وجهه إليها ، ومثل :

— افلا نحاول أن نقيم ؟

عقالت له :

— الا تريد حتى ان تقبلنى ؟

مقبلها فوق جبينها ، فقالت :

— هذه لا تحسب !

مآجایہ :

— اعرف هذا . وإذا لم أفكر في الإقدام عليها . .

عسالفه يحزن :

— اہی افضل ما تمسک به ؟

فقول لها :

— في الوقت الحاضر : نعم .

: عَمَّالَتِهِ

— وهل نظن الحال سيكون أفضل من هذا فيما بعد

عاجاها :

— أرجو هذا . اؤكد لك اني اتمنى هذا !

وحدثها إلى حسه والنطق بها - ونفس وحده في ...

\* \* \*

وبعد أن هذا نشيجه - قال لها وهو يغتمها إليه :

— لم أكن أرى قبل وقوعي في يد اليهود أن في استطاعة  
الإنسان تعذيب الفلاس من غير أن يلهمهم بأصابه . أنهم لم  
يعصروا أحد مد . ولم يترعوا أضرار . بعد سمعنا ذلك من  
أسماء من هذا القبيل عرعرا . ولكن سمعنا من ذلك أنه قد  
ألفا شخصيا ، أغنى لأحد ممن كانوا معي في حجرة في  
على الأمل ، وكان عندما نحو عشرين . وكان المني الذي  
نقتولنا فيه كبيرا ، عطفنا في البداية التي يدرسه . وكان  
من استطاع أن يحرم تني . لأنه لم يبق شيئا في ذلك  
مكره عن مكان وجودنا . سمعنا جميعا أن هذا هو

بخدمه ما يدعى إصلافا على تعرض الإصلى من تشييده . وع  
 ما لاحظناه أن به فضاء واسعاً يحيط به سور مرتفع من  
 الحجرة ، مما قد يصلح ملعب للدرسة . وأحجره بمسب  
 هت حائنه من كل نوع الأثاث . نعماً هذا هو - في  
 بل يكن من أركنك لأربعة . سبي له عصفه . وعند م  
 إلى تلك المني في سارة نقل مقعته من النوع الذي نستخدمه  
 في من الإصم ! .. وكل ما هناك أنهم ما كانوا لكدر  
 السرد كل هذا لعدد من العصف . لأنها كانت حربه إلا نفس  
 هي على قد حبه ! .. وصلت أسيرة بترح ساء  
 رعب . وأنف بعرض كم كانت تحساره تذبذبة في  
 حجر . عاشت على وطاة العصف . وبمرور الوقت شئت  
 منكب أيضاً إلى فضاء ضروريا العصف . وقد بوقت  
 ردد رة النقل عن المسر عدة مرات ولكن لم يسمح لأى سر  
 بما يعادريه . وكان بخوار السابق في المقدمه حسن  
 حرار معهم . ونحن ما من أحد من أئلائه - كى بحسن  
 والجندي السبق - يعرف العربية . ولكن أحدهم كان يعرف  
 الإخباريه ملحناً إلى مصطلقه بها . و خبره أن حرباً مد  
 وشك مثاباتهم أن يتجر . وطبعاً إليه أن يسمحوا لنا بالبر  
 قليلاً لهذا الفرض القهري ، فضحك وأوصات ألا نسمع هذا  
 البول كله سدى ، لأنى وسعنا أن نجرعه إذا ألح علينا  
 الظلم !

فسالته نادية عندئذ :

— وهل تكرر هذا أيضاً في طريق العودة ؟

عجائب نصرى :

— لا . فالرحلة لم تكن يمثل ذلك الطول . فمقلونا إلى  
 حد مراكز لرعة ثم تولى الحراس الإسرائييون حراسه  
 حتى أجاب لردى من الحدود . أما في ذلك المني نالت  
 ما كنت حقيقته — فقد كان الحراس الإسرائييون يشعرون  
 أنهم لستهم . مشا تماماً . لأنهم لا يحدون ما يصعبونه .  
 و «أولاً دعوى سا . عما نحن إلا شردمه من العرب . أن  
 من الجنابه . وأسماء بشر ! .. معى خوف الليل لك سمع  
 ما حات بجهد الدم من هولها . فينصرف تفكيرنا على لغو  
 ر غير تلك . فأنصحن بى بمعناها بردد من عقل عن السمع  
 الأظفار . ثم يقوم أحد الحراس اللئليس بفتح باب حجرة  
 رعباً باسماء يهون : من الذى عصفه لثور ؟ .. ثم يسو  
 بضعة أسماء . ثم يأخذ من تكون أسماهم من عريقنا إلى مير  
 الخارجى . حيث يقوم رملأؤه المنتظرون هناك بفادتهم . ثم  
 أذننا وراء طيورنا ، ثم يساق فنهبط السلم إلى الع  
 الكبير ، وهناك يوقنوننا وجوها إلى الحدر . وعندئذ  
 أحد ولك الحراس : « إن كان منكم أحد يريد أن يتلو عصفه  
 . فحسب . سيعر دديب . » و سول شمس من هذا العصف .  
 وبشره الجميع — مسلمين ومسيحيين معاً — في نلاء  
 صلوات .. فسالته نادية :

— وبت : هل كنت تتلو صلاتك أيضاً ؟

— حاجتها :

— بل كنت أصلى ولكن في طيبي . . .

يبحرك .

سألته :

- وماذا كنت تقول في صلاتك ؟ هل كنت تذكرني بعب ؟

مأجلبها ، جادا :

- كنت أطلب من الله ان يعيش ابني حتى ينقم لآبيه .

« ما هو سر كرمك في هذه لحنه ساعين . وأحر من سيرور

« مقلد من ور ، طهوريا اسطرا ' سرمة اطلاق لبر سي »

تصل مطلقا ، وانتظار الموت لم يحدث فعلا - وإن حدث

« رب في كل دمه بل كل تسه من ذلك الوقت لموس

« رهيب - وي سهاه بعيدوسا إلى حرب .. وبعد حه

سأل أخرى بحدون مجموعه أخرى من حرة محاوره .

« سار نحن من البوامد والعنسل والحرء مسئولان علينا .

وبحر متسائل وأخفين هل سيعملونها حقا في هذه المره .

« سبو ' المسحر . وكذا يدرك - مسكن المصعب من

حبه في الفناء يعتقدون أن ساعتهم الأخيرة قد دنت ، مثلها

كما نحن نعتقد ذلك في حينه .. كلا ! إنهم لم يلمسونا كما

« ما لك . وخطوب فقط كانوا معدوبس بالاعصاب والرعف

والادل .. وكانوا أيضا يجيعونها .

فسألته بادية :

- وماذا كانوا يقدمون لكم لتأكلوا ؟

مأجلبها :

- خيرا أسود وثمينًا سائلًا كالماء انقدر يسويه حسه .

« سبت ' اعتقد أنهم كانوا يمدون لك كراهيه . حتى هذا

كانوا لا يعيروننا اهلاله . فهم المنتصرون .. وكل ما هناك

أنهم يحتقرونا ويزدروننا !

وظل نصرى راقدا بجوار زوجته ملتصقا بها ، متشعث

باعطافها بين ذراعيه ، وهو يحرق في الظلام ..

ورفت شفتاها على جبينه الملل بالغرق . وباشدته بسن

قائلة :

- حاول أن تنام ..

فقال لها :

- لا سميع . عسى مني ' عهصت عسى حسن إلى ..

« سب إلى لك احرة اسمعه - وس بعد حله وا -

« سمع مرحة ، سم وقع خطوب عسكره ثغيله في سبر

« حري - وبني رب احجرة سبر حدي إسرائيل سبر

سماه بريسه وبول من الذين عليهم الدور الآن .

ثم يقلو أسماء من قائمة بيده ، واسمى من بين هذه

الاسما ..

عانت له :

- نت لا في مان . نفذ اسمي كل هذا الآن . أنت عد

في ( رام الله ) ، في بيت حليل ، وقد صرنا معا مرة أخرى !

فأستندت قبضة ذراعيه تعصرانها بكل ما فيه من قوة

« عسى . حري أن لم تكذب طوط هذا المستسط الذي لا سري

به : وقال :

- إنه شيء أشبه بالكابوس . وأه مقاومه وكفى لا أه تحب

إن أنتحرر منه ، فهو يلازمي باستمرار



كانت تشهر بالسعادة في دخيلة نفسها لأنها استطاعت أن تسمى ذلك الحادث الطيع الذي وقع لها في الله . بعد أصبحت حليمة مرة أخرى ، ولكن من نصري في هذه المرة .

لقد حدث ما لم يكن يعتقد نضري أنه سيحدث . فما أرى  
ت ليسا حراجه الاحياء ويرث منها بفعل سديا آخر .  
بسرعة ، حتى وجد نفسه وقد تخلى عن الصدمة التي

استحوّل بينه وبين زوجته الحسنة إلى الأبد ، وقيل أن  
ما حدث أنقذ نفسه قد استعاد علاقته الحميمة بين الحبيب  
واعقب ذلك البطلان المادي لأثار "فصله" بخصه بـ  
من آثارها المعنوية ، وتغير حاله من الشرود شبه المزمي  
الاهمال السوي على الحياة ، وسعى لدول له كـ

وقتل رحله إلى عمان يوم واحد أمهت به حمله حرر  
ولكن ما بعد العرق بينها وبين رحله استنقائه الأولى . مع  
أصبح الكل على أن هذه لرحله الثامنة كانت شبيهة في حوض -  
المرح - النهج بحفلات الأعراس .

ومن هذه الجفلة أيضا تخلف آل منصور لأن بطرس كان موعودا ، إلا أن مرشد الذي تولى توصيل محمد بالسفير ، مات في صباح اليوم التالي خروص أثناء الرحلة سررا ، على أريحا لم يحظ الشاب الذهاب للقتال بدعوات وبركات عم زوجته ورأس أمرتها .

ولم يكن نصري قد رأى بطرس منذ أربعة أشهر . فصدده  
بمظهره . وخيل إلى نصري أن الرجل بدت عليه الشيخوخة  
والعلة محزنة ، كأنها بد الموت قد شمت ناهية بالفعل . وكانت

مصحف بطرس قد ندهورت كثيرا في الواقع منذ المسيرة  
مستوصفة من بلد الى بلد - وساعت حاله قلبه الذي كان  
يصبر منه محدسوا - واخذ يشكو من الشكوى من نفوس في  
النفوس حتى ان اهل الحركات التي كان يضطر إلى القيام  
بها يومه لا يذنب عليها الا وهو بطلمع طلعا شديدا .

... في أيامه الجديدة كل ما يقوم به بطرس، تجربته وأساسه  
... منه وهو به ثم يشجف وضادة عليه من أفراسه - مخصص  
... حرج عليه ليس وعلقه العنصر عن تحطيم ما بقي سلبها من  
... من بعد برل الدنيا في هذا المكان مبعثلا حراره  
... في لا محله تذكره مداره وأراضيه وثروته التي  
... من يدعى معدن ناشئين بسوء فهمهم  
... ليس - به همل يفكر في ذلك كله كل يوم - بل  
... من مصادق ليوم بطرس من استمرافه في ذلك  
... باليه هذا انهم روحه كما يلتهم السرطان خلافا المدن.

يمكن في رأسه فكرة سوى أن فلسطين لن تتحرر وهو  
مدد الحياه . . عن كتاب لأطلس أن يعيش لنشهد يوم  
ذلك التحرير — الذي قد لا يحين إلا بعد خمسين سنة .  
تسعين أظن يومئذ في مثل سن ابيه الآن . وفي ذلك الوقت  
سكون الدولة الإسرائيلية التي فرضت عنوة وغدرا على قلب  
شعب عربي مد أسف سبروا ل يعمل تماريح الطبيعي .  
لا لظلم لا بد في النهاية أن تدول دولته في يوم  
العدل .

بهذا كان يؤمن بمدرس فعلاً . ولكنه لم يكن يصرح بذلك  
بهيبة تلك الشرذمة الضالة في يوم قريب جداً . وبصور - في يوم  
خارقة على يد جيش التحرير . . . . . الدول ستقرض على  
الطرفين هدنة في الوقت الحاضر . هدنة ترسم فيها حدود  
جبرية تحكيمية . وسينتج اليهود هذه الفرصة "لثأرية" .  
لن يعمروا مكاسبهم ويحولوا من حروبهم إلى حياة . . .  
إلى نصر موجد الأركان .

\*\*\*

وبمجرد أن بدأ البرد يشتد في منطقة الللال أخذت  
خسري من السلاحين يمدق من رماحه عذراء ينادي  
الطريق المضي إلى أرحا . متوجّهين إلى القريّة في  
تلك المنطقة المنخفضة . وأقاموا في بيوت وبيوت  
اللال الفاحشة . ومنهم من تصبوا حباء مرصعة . من عذراء  
بعضه آلاف ما ليس رجال وساءه وطبل عذراء . . .  
أرمله ومن القرى والكفور المنتشرة في تلك سفح من التربة  
وكلهم يهلبو الثياب مسردون معدود حبيح يوم  
في الواقع إلا جانب يسير - على ضخامتهم - من ذلك  
" الحروب " الفلسطينية الواسعة "سبع" الذي يعمد في  
أوده وسفر عربي على معونه في مستقرة التصدّر .  
أن تكفل لهؤلاء مجرد البقاء على قيد الحياة ويؤمنهم  
من المستوى المفروض لمعيشة البشر !

ومن شرمه الطائفي الأول في دار منصور سرح سفسع  
الماظر أن يرى فيما وراء جبل النخبة عدد سبعين الللال

دبته كذمة من أحباء مبررة و الانكشاف أحشيه والإحصاء  
في القوة الأساسية لما كان مزعماً أن يغدو أكبر معسكر  
جنين في الأردن .

وكان بطرس وماريان يجلسان معاً في تلك الشرفة  
يسمران في باب من حجاب شجر لسرو الطويلة في حديقتهما  
ويستمع في كثير من الأحيان كايا محذوف ملا يربس شمس  
نظرتهما تكون قد امتدت إلى بعيد فيترأى لهما بيتهما في  
تلك الجوارح في أحدهما في أحدهما وهي حاسه أشجار الحروب  
وأشجار التحليل ليستة . وفي ذلك الإطار تتمثل أهلاً باصر  
مدرس محبة ست امرأة الله ألسنة المائدة أسي ضعف .  
واندركت منه ما لم يصرح سرحين عن مساوي حساباته  
وأحد !

وأكتب مزارح حذر معبر إلى وجهه معاً في دور في ذهنيه  
في تلك اللحظات . ويذكر أنه لا يزال بمقدار داره وراية .  
وتقوده ويميلكنه المسادة محسوب . بل إنه موق آله .  
بحسبته لمحبته أسي حانت به بيحه لتلك الهجرة الشاقة  
شعر بأنه "مسي" ومعنى لما حدث كبرياءه من حرج .  
يحدث من دلال حماي . لتسبب السلطاني بداره . محباتهم  
جيبها - وعددهم بقدر بهئات الآلاف - لم تعد تساوي  
عليها واحدا .

وفي أول ديسمبر قررت حكومة الأردن ضم ألسنة بعرب  
لنهر الأردن إلى أراضيها . وكانت هذه الضقة هي كل ما سمر  
من فلسطين العربية فيها عدا قطاع غزة . وهكذا انتهى حرج  
شرق الأردن كما انتهى وجودنا طائفي في لمرتب .



وحب الملكية لأرضنا انباشمه الحنده محل دوله شرق  
اردين على بحوم غلصن السليه . وهكذا بلاشى اخر  
ملاذ حرم الموظفين الفلسطينيين في بناء سدحيه وصد  
المستقلة تلاشما تاما في هذا الجانب . ولم يبق لذلك حده  
يعبر من بول إلا التقمه الصعره في الصوب حيث نحمى  
القوات المصريه غزه .

وعبر بربر في انبها . ولم يكن صححه إلى خطباته انى  
بنتى الحسد سحطه وجر وساراده كى يعرب ما يحول محاصره  
وما يعتل في مشاعره .

وكان قد كتب إليها يقول :

— لى لا تنار كلاكى إلى إنجلترا ومعكم انطون ،  
ان في الوسم دحل انطون إحدى ابدارس الحنده هـ  
إنجلترا .

وقد ادركت المعنى الذى يرمى إليه بهذه العبارات  
واحسنت أن ما يعرضه لا يمكن قبوله ، لما فيه من هنى  
الخلى عن الوطن الفلسطينى نهائيا .

وكتبت إليه تقول :

— بطرس لن يفادر أريحا إلا كى يعود إلى ( اللند ) .  
وذلك يعنى بطبيعة الحال أنه لن يفادر أريحا !

ثم حل بعد ذلك عيد الميلاد . وأعلن بطرس أنه ينوي حضور  
صلاة قدامى العهد في كنيسة الروم . وبطرس . بحسب أنه  
لا يجد في نفسه ميلا للتوجه في صبحه إلى الكنيسة .



وكان بطرس وماريان يجلسان معاً في تلك  
الشرفة ويتفان إليها من خلال أشجار السرو

وذهب أنطون معه إلى تلك الكنيسة بطبيعته حال . وكانت ذهبت ماريان لأنها تريد في ذلك اليوم أن تلبسها .

كان يوماً دافئاً مشمساً برزت فيه صفحة السماء بهيئة الزرقة خالية من العيوم . وكانت الأبرار اليسعة سرور في كل مشر مطلة في تراجم حائل بالألوان والعبر فوق الأسوار المصممة والعريشات لحرمة . ما بين حمرة لون . وديرة وحرارة ثانية ، وببضاء ، وذهبية . فكان الدنيا في عرس لحدث له الطبيعة زخرفها وأزمنت .

وتسمرت ماريان وهي تدخل ليلدة الحيرة بما تبث سحر الدنيا من عسفه هذا الإقليم ذي المادة الركونة . إلا أن ما تبث سحره به البدة من الهدوء الذي يشبه عويبه فكانت منه انجذاب عنها . ماذا الشارع الرسمى إلا — منحدر البصرة المنوية المعروفة — قد عرس مناسى عرساً بحويته تلى غير هدى . والنساء منهم مكشبت بالابواب المصرا المبهودة في لمرى الفلسفية . أما الرجال فمسيه سمر — وريسه رثه عوى حلايب مفساء أو محتلفه سيرول على عصابهم . والرجال والمساء على السواء سحبت كل منهم وراءه سرها من الاطمال الصغار . في تحاليفه بدى لا يمر له سرر . بكل مرادهم إرجاء لوقت . وقت اللاهس الذي لا يهده له لأنه لا مشغله لهم . وظلهم حرمة من الخوف . وأنس قلوبهم أخوع من بطونهم واشد منها انقار إلى ما سمعت منها الحرارة والدفء .

وبطلت ماريان إلى محيا روحها المتحيم وهم في لسيار — هي ونخترس وأنطون — وكان يوسف ببولي القيادة . وهي

على يقين من أن ما يجول بخاطر بطرس مطابق لما يدور في ذهنها : فهام الناس الذين عاينوا معهم مشاق تلك المسيرة الوحشية . وكل ما هناك أننا أبعد منهم خطاً ، لأنه كان — مكان معد لاستقبالنا اتجهنا إليه . كان لنا بيت آخر ، أما هم . . فلم تكن أمامهم إلا البرية !

بحسب أن بعضنا ونسفه والام سوح في حليط محطهم . دخل صدر روجها . وكذلك كان حالها أيضاً . ولكن إحساسه هو كان أشد ضراوة ، ما في نفسه من نخوة الرجولة وبواعث النونية الحريجة .

بعد ذلك سلبهم الكنيسة الصغيرة الرمنه الأنفاس . لتبرأ العتجة جنساتها وبمعهم الأنف عبر محورها ، ومن فوق رؤسهم سمعون صرخ به سبع شعوع بضئ كنها الدخول . رى في تلك الظلمة ، رمراً نور الذي افاضه على الدنيا . مسيح به جاء به من هداية لروح ورسالة الحب والسلام ونقاء الضمير .

وبعد بطرس في انجذاب الاكثر من وقت اتصاله على بيت . مضت الطويلة ، فجلس منتصب القائمة إلى الامام في مقعده . رماه متشعبتان مقبض عصاه . وبين الحين والحين يشير — رسم على صدره علامة لصليب . يؤيد بذلك الحدس — من سعاد اتصاله . بعد أن — دمع — حتى يؤهبها الكاهن ياتصى ما يمكن من النساء والرجال

إليه لم يكن من علاة المؤمنين الانتقاء بطبيعته الحار . ولكن  
 تذهب إلى أكنيسة في يوم عيد الميلاد أمر مقدم عليه . ثم  
 يحكم بربطه وتعوده ، مثلها كمطلى الصدقات للمفترء . و  
 مثلها يصيح بخدمه أمرا أو نهيا . أو مثلما يخدم جسمه  
 ونداماه شراب « العرق » وطعام « التولة » . . . بطرس  
 في الجانب الأكر من السنة . سمعت الإلهي . حتى .  
 دل عيد الميلاد ، ومن بعده عيد صريح . صبح من .  
 المصدق إلى المصدق . يحكم بروسب في . . .  
 مراث الجنود وتربية الأبوين ، فيدخل عندئذ الكنيسة . . .  
 مدبل عن سمه وأعدده سنة في دا . . . ريسه بصر حاف  
 النهي في ضرب من الركوع المعنوي المحال .

وكانت ماريان قد سألته ذات مرة في فجر زواجهما :

— لماذا إذن تذهب إلى الكنيسة ما دمت لا تؤمن بآمان  
 عينيها ؟

فأفترقه عن ابتسامته الأسيفة ، وقال لها :

لأنني في هدير لأوامر من المسم لا كور . . .  
 شيء من مدى عدم إيماني !

أما أنطون فلم تكن في نفسه أدنى رغبة ، وإيمانه عميق .  
 يومف بجوار . وراح يتابع كل ما يجري عند المذبح ، مركز  
 . هي بشوا . واملأه بمسح حشوع وحشيه لبات . بطق .  
 المقدسة التي يجري أمام عينييه تمثيلها . وعندما حان وقت  
 مع القربل لمقدس أمام مطار ليس أحبي ريسه في صه .

عينه وهو مؤمن من . عده اللحظة بالذات هي اللحظة  
 التي تكون فيها الصلوات أقدر على الصعود إلى ساحة الله  
 وأجالات رضاه .

وكان من عادته دائما أن يصلي طالبا من الله أن يعينه  
 كي يحيا حياة سالحة ، وأن يحيى أبويه من كل شر مادي  
 ومعنوي . ولكنه في هذا العيد — وهو أول عيد للميلاد  
 في مرة التثنت الفلسطينية — رفع إلى الله صلاته كلها  
 . حل شعب نفسه . لأنه شعر بعدك أجريه لوحشه  
 . ر السنة أنه مد صار هو . ذلك الشعب نسدا واحدا في  
 الحبال والمخير .

بصرع أنطون في صلاته الحارة إلى الله أن تشاء مراحمه  
 . لا يبه أم عوده شعب مسجن المشيت إلى رطاه  
 المسبب ، لأنه لا يليق بعدل الله ورحمته إلا أن ينتصر الخير  
 على الشر ، وأن يسود الحق والعدل كما وعد المؤمنين .

## - ١١ -

كان أهم ما يشغل ذهن انطون هو الفزاعة إلى الله ان  
يسمحه سيديت بسبل البراح الذي يركب " امس " . ولم ير  
إعزازه للصبي الأعمى قد تغير ، ولكنه لم يعد ملازم له .  
ولم تتحسن الحال عندها قام بزيارته في مدرسة العيىر سد  
لحم . وكان يحلم بقضاء امين العظلة معه في ارجح .  
" امس " سرت على لسانه من الاسره في بكاء عظله  
م ان نفس العظله مع من م ن يسي على م م  
بالحاجة الماسة إلى صديق يملأ حياته كل يوم ، في المدرسة  
وفي خارج المدرسة .

إله لا ينكر ميله إلى بعض زملائه في مدرسته الجديدة .  
رأسه ميل لا يحمل إلى درجه احادسه القوية واللفة الحميمة .  
من م واحد منهم يمكن ان يقول م في اعتداد م م  
صديقي " .

وكانما استجابت السماء لدعائه انصامت باسمي بعد عوسه  
إلى المدرسة اثر عند الميلاد برميل بدعى " وليد حسر " .  
بوسل القامه ، اسير اللون ، جميل القسمات . وس لا يسو  
عليه أنه يشعر بحماله . وهو أكبر منا من انطون شيئاً ما  
ولا يجمعهما صف واحد . وكان أول التفاء بينهما أثن  
اسراكم في مشاهد مارة لكره التدم . وول م م م  
انطون إلى وليد ان وليد اسعد عن ارجام في سر الاسر  
أنهاف نايم ، وأوعل سر أشجار السرو حيث جنس نبي

رض يحب تسخره كبر . م م م . مما دل على شعوره بلوحدة  
في هذا الحسد من اطلاب . فاحه بطور إله ودها أحدث  
نور امداره واحمالات الكتب . ثم تطرق الكلام إلى  
موضوعات شخصية :

— من أي بلد أنت يا وليد ؟

— من ( بئر سبع ) . كل إلى مدرسه هناك وبكنا هاجرا  
منها قبل دخول اليهود إليها وانتقلنا إلى ( الظهيرية ) حيث  
أهل أبي . وهي من قرى الحدود . هل تعرفها ؟

— لا . فانا من ( اللد ) . جئت إلى هنا مع أمري في  
الصيف الماضي وأسمى انطون متصور .

— مسيحي أنت ؟

— نعم . وأمي إنجليزيه ، ولكنها عسر نفسها بتسطد .  
وضحك الفتى الأسير وقال له :

— وأنت ماذا تعتبر نفسك ؟

— عر بالطبع . مثل أبي .

— حسبك هذا عروية ، بالإضافة إلى مشاعر والدتك  
الشخصية . أما جنسيتها الإنجليزية فأمر ثانوي .

— حس انطون بحواره وأسد ظهره مثله إلى التسخره  
وقال :

— إن عمتي متزوجة من مسلم .

— وما الفرق بين المسيحي والمسلم ؟ تكنا نؤمن بآله واحد .

- كان يسمى من كبار الملاك في البلد . من كثرهم في اليوم  
ولما تمت في أريحا وبعض بساتين برتقال . ولكننا لم نجد  
عباء كذى قبل .

وصحك ولبد ، وقال :

— ولكنكم لنستم مقراء ! أما أهلي فقراء . فقراء جد .  
واسمى سمع الآن بـ « مدرس » في ( المألحة ) . وعدد أسرنا كسر  
جدا وابكرهم . وعسى مدير ليلك عد بساى . إنه معترى .  
وإن كان يكره أبى ويؤذنيه ، لأنه أولا ألقى أعضاء الأسرة  
وتأذى لأنه أمهم بالأعمال ههنا . سعى سوزى عزم والتمس .  
ولكن عسى يفيظه منى أننى لا أعرب له عن عسر فأتى بحمله  
إذ ادخلنى هذه المدرسة على حسابه . فهو في الواقع لم يرد  
سوى . عنه بوجهه باعبار . سعى رجل في الأسرة . ولا يحد  
قد خدمه فلم يصبح لأجنا مشردا . واسترداد خيبة عمله عندما  
يعسم سعى لا أبوى الأسعال السجدة والأعمال المذمومة .  
بل أريد أن أكون معلما كلبى . ولكن ماذا تريد أنت أن تكون .

— لا أدري . معندنا كنا في اللد قبل اغتصاب أملاكنا  
المفروضة أننى سأساعد أبى في إدارة مزارعه . ولكنى لا أريد  
عسى كن حارس أسعس بأسجده . رضى أوفيت عسى .  
بـ « سسعا » أن اشتغل بالتعليم إذ ستعصى براسك .

— ومن ذا الذى قال إنى بأزع ؟

— هذا هو اعتقادى فيك . وقد قضيت الشهور الماضية

هنا بفير صديق . أتمنى أن تعدوا أنت صديقى .

— ولم لا ؟

ولم يهتم أنطون بزيارة وليد في بيت عمه — حيث يقيم —  
ولا بدعوته لزيارته في بيت عمه هو « داود » ، حيث أولئك  
العميات المسخفات بنات عمته . ولكنه أهتم غاية الاهتمام  
— سعى إلى أريحا ، لا لتقدمه لوالديه محسب . بل لحمل منه  
جزءا من حياته هناك على الخصوص . وهو يعتبر أريحا  
وطنه الحقيقي الآن كما كانت اللد من قبل .

ولم تكن لدى وليد معرفة سابقة بأريحا سوى أنه مر بها  
وهو في سيارة عمه المسرعة . وقد سر بدهائه إلى هناك مع  
أنطون في سيارة زوج عمته حليل . وإن كان الذى نولى القيادة  
هو عمه عزم . وأعجب وليد بجمال بيت آل منصور هناك  
من شجر لحمل وسنان اسرعال . وكبر ههنا الأكر  
من موحيا إلى تسلى الحبل مع سوزى في امرت فردية .  
وقد ترك ابوا أنطون في ميمه تأثرا طيبا جدا وأعجب بعلامه  
سعى وأشد السعوى الانجليزية وعسى سلكه انجليزية . حتى بهـ ذ  
دسرحب منه ما كان لشرك ابنا إنجليزية دولا ن . بنطون آخره  
بذلك .

أما بطرس وماريان فأعجبيهما تهنييه وغفلته عن محاسن  
سلكه وقوامه . وسرهما أن يجد فيه أنطون صديقا محسبا .  
وإن كان ماريان أحسب أن هذه الصداقة أعر لدى أنطون  
منها لدى وليد ، وأدركت أيضا أن وليدا أذكى من أنطون  
وأشد منه حيوية . . وتثبت بأن القيادة ستكون دائما لوليد ،  
وأن أنطون سيمسح بدور التاسع الأمن . وحشيت في الوقت  
بمسه أن سنام وليد يوما ما من ولاء صاحبه الصغيم وأعجابه  
الذى هو من قبيل عباده البطولة ، يستعاض من صاحبه .

ولكن أنطون لم يشعر إلا بالسعادة في صحبة هذا الحديق الجديد الذي زادت مكانته على مكلفه أمين الأعمى - لأنه في صحبة أمين كان ملزماً بأن يجعل أمينا يرى الدنيا من خلال عينيه. أما وهو في صحبة وليد فهو يرى الدنيا من خلال عسى وليد - كل ما يستلمحه وليد فهو مليح وكل ما يستقبحه فهو قبيح !

وبدا وليد يفكر في مشروع لعطلة عيد الفصح - ولكن هذا المشروع يحتاج إلى استخراجه تصريحين رسميين مسسكفر بهما عنه مدير البنك ، على أن يذهب أولاً لقضاء أيام عند أمرب وعدي في لندن ، وهم هؤلاء معمر ، يملكون هذا سفراً لمبيع مصنوعات الخليل الزجاجية المشهورة . وبعد الحصول على تصريحين يوجهان إلى خبيثة حد من أسد ادس يفتحون قطعة صغيرة من الأرض ديه . وقد ر « بعلع ادس » بعصر على طون احمر « إلى سر » وأن يتطلعا عبر الوادي إلى الأرض المحتلة . وقد يستحصل التسلسل إلى هناك !

— ولكن هذا التسلسل خطر يا وليد . وقد يقتلنا اليهود !  
— خطر ولكنه ممكن . بشر سبع بلدى ومن حتى .

وفي هذا الحلم قضى أنطون أيامه انتظارا لقدم الربيع .

## - ١٢ -

وفي يوم ٢٤ فبراير حدثت خطوط الهدنة بين القوات الإسرائيلية والقوت المصرية . وفي اليوم الثالث من أبريل وقعت الأرض في ( رودس ) اتفاق بشأن خطوط الهدنة بينها وبين الحوس الإسرائيلية هناك . ولكن خط الهدنة الارضية الإسرائيلية منه وطريقه كثيرا من اللد والمقرى ولا رضى رر عنه بحيث محسب يرى كثيره عن راسيها - وقد مات موت كثيرة في منتصفها بحيث كانت الحجرات الامامية في ارضي لارديه و حشرات لطفيه تحت سيطره اليهود . ومع عند ادس من مرقت سدر على هذا اسحو ٢١١ مرة حرة مكثب من مصادر رومهم وهي الارض التي سحوبها وقد اتف على هذه المناشط الوسط الأمريكي الذي سنش الذي كوى باهداء جائزة نوبل للسلام إليه .!

وكانت القوات الإسرائيلية قد زحفت على ( العقبة ) !  
الحيوب في أثناء هذه المباحثات في شهر مارس ، كما تقدست بواب - سه جرى وتعللت بين مواقع العلق العربي .  
منطقية ( الخليل ) .

وكان بطرس مصطفى إلى الأنباء في الراديو ويطلع الصحب من عند لاسه ولا يكاد يعلق شيء على ذلك كله ، ٧ احبسه بالكارثة كان لها بعد ان تمزقت وحدة فلسطين - بعد ان سمى لاردين ما سقى من طعمه الحزين - قد همد

في نظره لشيء بعد ذلك . وهيهات أن يضير الشاة مبلخها بعد دبحها !

لهذا كان بطرس يأتى لحوضر في حديث السياسة مع حبه . يد جس سروره . ويعجب لدهش مريد واهتمامه البالغ بما يحدث ، وإصراره على أن فلسطين سيسترد حريته واستقلاله ، ويجنيه باسم :

— لواجه الواقع ! لقد قضى على شعبنا بالثشت . وإن كنت احسنك على إيمانك الذي لا ترعزع . اشرب كأس من الويسكي مائى احسبه أجدى عليك من إيمانك كله !

واضح أن بطرس كان يصرط في اشرب . وكانت مارس تدعى بمكب سبو تدبر ذلك في سجنه . وبسركه وراء ذلك لثق . وكان بطرس يرد على ذلك دائما من ويسكي مرخه من الهم والكآبة وهما اضر بصحته من الاقراط في الشرب . ويؤكد أن مشروبه المعس هو النبي الوحيد سماى في حبه مما يراه جديرا بالمناقشة !

وله يكن بطرس سادما كل بسدى في ذلك . لانه جس حبو بر وجهه مريان كان سانشبا في موز حبه كثره . ميب ساسيل ابنتهما . ولم يكن نظاهره بعظم الاكتراث بالسياسة لا قضاء زانما . وهو في الواقع كان بسحب المناقشة . لا لانه غير مكثرت بل لأن الموضوع يؤله الى جعل الحوض منه فوق طاقته !

\*\*\*

وكان ابطون قد حصل من والديه على إذن بغضاء بضعه من عطفه الصبح بالحبل . بيد أن ولده جعله سسر به . لا يوح لوالديه شيء عن دهشها بعد ذلك إلى الظهيرة . حيفة أن يمانعا في ذلك لقربها الشديد من خط الهدنة . من حالة المتابعة سسر ابطون بتسبب القصر إذا خالف وإما به .

وخال ولید بسبق سلطان الأنوب وبعتره مسولا مرعب . ولدا امرح على بطون ب بحر بوه بداهبها إلى الظهيرة . بعد عودتهما من هناك . وب من شيء ادل على وموع أصغر . بحب سبخره مدبعه الحديد من قبوله ذلك الوسع ، سرح بذلك على ولانه لوالديه لأول مرة في حياته !

والحق أن ولید كان سطر إلى أمور سطره تصلف من سطر طول إسب . فهو لا سررد في الحديعه والكذب يد كس ذلك كخلا بوصوله إلى هدفه . أما ابطون فهو على العكس من ذلك . والاحلاف بينهما سحم عن احلاف الطبايع واور . لا من احلاف العقيدة بطبيعة الحال . فالكذب في النشئ حره . وعدم إطاعة الوالدس في الديس حرام . ولكن سكون الأعشى لا يتقين دائما بفواهى الدين وأوامره .

وكان قد تقرر أن يتولى يوسف ، خادم بطرس في أريحا ، بوسلها إلى الحليل في السارة على أن سعود لإحضارهما في اليوم المحدد . وفي ساعة مبكرة من اصباح بدأت الرحلة من السلال الصحرية والرمليه الحرداء إلى القدس القاتمه موى بلالها الشهيرة مشرفة على الوادى الضيق . وكان رئيس السلا إلى مشاهدة الحديقة المقدسة التي لم يرها منذ أكتوبر الماضي .

أما يوسف فكان في حالة عصية سيئته بخوفه من العاصفة  
ليهود وهو يفقد استدارة على صور لمطعمه 'حرمه' من  
من بيوت قوصتها القنابل وحدائق وغياض من أشجار الزيتون  
التي كانت وقد أهملت وتكاثر فروعها على غير نظام . فكان  
همه كله في الوصول إلى بئر 'الأمس' و'الحيز' فهدس بصره  
للتوجه جنوبا إلى الخليل .

ولما صارت القدس وراء ظهورهم شرع ولدت يكمن صدمته  
الإسرائيلية ليعلمه على يوسف . فقل أسبغ سدهما في العبد  
أي الظهيرية حيث نسم حيداه . وسيكون داهيها -  
من أحسن يقرضاتهما في الخليل . والمسافة لا تزيد على عشرة  
أميال ممرات . وهناك عند مقطعه دهر أفعه ممر 'الحريق' المعروف  
من اللال إلى بئر سبع . ولكنك لا تستطيع بلطيمه الحال  
أن يسلك تلك الطريق لأنك ستصادف بعد بضعة أميال لأمسه  
بالسرعة بشر إلى خط الهدية . وسعد الحراس الأمر بلس  
منهم اللال من الحارس بكلهم الصخر ملبس على يده  
أصبعهم بإطلاق الرصاص على أي إنسان . وهكذا تعجز عن  
الوصول إلى مسقط رأسك وأنت على قيد ككل ممرات قلته  
منها :

وفتن انطون بالثقة وسهجه الحد الشرر بحدب بينها ودد .  
وأزدادت مكانته في نظره وهو يسمعه يقول :

- إن أهل أبي في الظهيرية فلاحون فقراء كما قلت لك .  
ويقيم معهم الآن عمى مبر الذي هاجر معنا من بئر سبع وكانت  
له في ضواحيها أرض واسعة نقل عليه ررقا طبا . وكانت به

سحب يرتحل وحديثه حصر ودواجن يبيع ثمراتها في سبغ  
سبغ ش سبوع . وقد صارت كل هذه الأراضي الآن وراء  
خط الهدية . وسكنا نستطيع أن نراها عبر الوادي ونهرها  
حبه يرتول . وعلى قول إن من واجب الفلسطينيين إرسال  
خط الهدية لا لانتقاط شيء من ثمار بساتينهم المستحصنة  
و بل من حطب من الأرض التي سمي الآن بشفه الحرام .  
سكنا لا نستحق العناء والمحارمة . بل بالانصاف عصفه  
حسب غير العرب المقيمين في الأرض المحتلة لبطيم حركه  
حده بالتعاون معهم . بيد أنه يقول إن الأوان لم يحن بعد  
سبغ الحزيمة . فلا بد لها من سعداد . ولكن يومها آت  
رب . فليس أمام سبيل آخر لنحرير بلادنا بدمنا كذا من  
حبيب . ولا أكتفك أبي كتبت أحلام أثناء زيارتي لوالدي في  
حده من سنوات 'عراقته' التي كتبت أصغر مفسرها خارج  
'سكنا' سوف تتحرث يوما للاستقصاء على حدود الأرض المحتلة  
بعضاء من اليهود ونحرير الوطن . ولكن هذا الحلم سحر  
منه بعد أن سعدني فترة من الوقت . وأما الآن واثق  
سبغ حطب . يتحرر بيد أسائه قبل كل شيء . وأن  
تحرير لا يمكن أن يساعدونا من غير أن تساعد نحن أنفسنا .  
ريد أسبغ بأنطون قررت أن أصبح معلما . فالمعلم له تأثير  
كبير على بلامنده ويستطيع أن يحفرهم للضلال والنضحية .  
'سكنا' والنضحية في سبيل حرية فلسطين هما أحوج  
بجناح إليه . وأصغر بعد سنوات قلائل أن يتاح لي  
التعليم في مدرسة ( الظهيرية ) .



## - ١٣ -

وكان يوسف يظفر في استمرار إلى الحارة الصيقة الصار  
بالصايب التي أمر بالدخول فيها عند وصولهم إلى مدينة  
الخابيل العيقة - وازداد استياؤه وتوجسه عندما أمر بانه  
بالتسيار قتاله بيت مديم محدع يحفل وجهه حايوب سم  
المصنوعات الزجاجية الملونة والحرر و لخلي الرخصة - سر  
عزل السيد الصغير وصديقه .

ويوسف يسمى إلى نفسه كهذه تعلم في "الد" ولو دير  
لاخبار ابناء هناك فانه يحده . ولكن امانه عنه بحم  
لا يرضى لان سيده يبرهنه نفسه . ومال في  
إنه سيعود إن شاء الله بعد غد . وكرر ذلك لسيدة الصغير  
في حرم . ولكن استبدت من يبول ابن بحرس محصور في  
الدف به سبعة من يبول لدعوة بكل سبور لاختفاء ثوب من  
ادشاي في ذلك الحايوب 'مواضع مثل ' بحشمه مشر ارد  
المضنية عائدا إلى أريحا .

وصعد وليد مع صاحبه سلمها معنا داخل البيت ليقف  
إلى خالته وابنائها وبناتها . وكان وليد يصب خالته لشد  
شبهها بانه التي كان يحبها اعظم الحب . . وخالته هذه  
سوداء العيشين ، في منتصف العمر ، تتنوع خصلات شعرها  
الاشيب فوق جبينها من تحت طرحة بيضاء . وقوامها الجمل  
محتف تماما تحت ثوب طويل من الصوف الرمادي . وهي

## اينل ماتي

١٦٣

سماة عنه وبشاشة استطاعت ان تمحو بها خد  
عون المهود أمام الغرباء .

وكان واضحا جدا ان وليدا سعيد غاية السعادة .  
سنة ولادته . إذ قتل بعدها ولان ولاده الصغير وسدا  
عنه الانطلاق على سجته بصورة لم يعدها فيه انطون من  
تبل ، وهو الذي يعرفه في المدرسة متعاليا منطويا شديدا  
الاعتدال بتفوقه الذهني . أما أريحا موليد على الدوام  
عنه من س لاسار بسبب الفهم والمكنة الاحيوية عنه  
يسعه في سبعين سياترسك . أما هيا في الحيل من  
من به - شيء آخر . إنه فرد في أسرة .

رسنه بنون في هذه الظلمة التي لم يشعر بمشها  
تحصيا وهو في بيت داود مع بنات عمته وزوجها ، فيما عدا  
بعض حداث لائل التي تقصدها مبردا بانه عيسى  
« ثريا » .

وزاد عنه ولده صاحب ذلك الحايوب لمواضع رجل حم  
الانشاط ، ذو شارب صغير أنيق وإتصافه بدنه لا به اري  
شبهه . رسنه عذره على احتداد ثلوث رائته وإساعيم  
سبويه به بكره كلامه في الأسعار إكراما خاص . وكان  
انه الأكبر غواد يساعده في أعماله ، وهو شاب وسيم رقيق  
عاشبه دارج في لاتناج براعة نية الذي أعاد من العمل  
نك اموم لنصحب من حاشه في حرمه  
وذلك داخل البلدة ومواحيها .

وتعجب ( فؤاد ) عندما عرف من ( أنطون ) أنه برعم بوعه الثالثة عشره لم يور إنجلترا مرة واحدة . حيث تقدم حد .  
ويسأله :

— ألم تذهب والدتك إلى وطنها مرة واحدة ؟

نابتسم ( أنطون ) وقال :

— أنها تقول دائما أن فلسطين وطنها .

— لم يعد لهذا الوطن وجود !

وعندئذ تدخل ( وليد ) في الحديث بسرعة قائلا :

— إن سيعود إلى الوجود إذا جاهد الفلسطينيين

لاستعادته !

— على أيام أجدادنا أو أبناء أجدادنا !

— بل قد يحدث ذلك في أيامنا . كل شيء يتوقع هنا !

— وما رأيك أنت يا ( أنطون ) ؟

— ( وليد ) على حق يا ( فؤاد ) . نلو 'استطعنا' مطم

حركة المقاومة في الأراضي المحتلة .

مكرة جملبه . ولكنهم مجرد حلم !

وعندئذ ثار الولد وقال لاس حائله

— وإسرائيل ؟ ألم تبدأ فكرتهم بحلم أشد من هذا 'الحلم

إيماننا في الخيال ؟ لو سيطر هذا الحلم على قلوب مليون

مليطيني شاب علا بد أن يحرقهم على حويل 'الحلم'

حقيقة ، بالإصرار والكثاح !

\*\*\*

ولم يصحب ( فؤاد ) وبدأ انطون إلى الطهييه في اليوم  
الأسبوع لأن أباه كان بحاجة إليه كي يعاونه في الحياوت . ولكن  
( وليد ) استعار منه دراجته للذهاب إلى 'الطهييه' ، وخصر  
لـ انطون ، على دراجة أخرى . وأطلق الاثنان في الطريق  
الأسفل المنرب - طريق بشر سبع - صوت الحنود . وهي طريق  
كثيرة المحطات تحف بها القلال الحرداء المركسه والصخور  
وكتل بحصى وأحلامد . وبس البحر والحر كنت بطائعها  
حقول سبعه بحرثها رجال وسبعه مسعس بالحمايل  
'السمال' .

وقال ( وليد ) لـ ( أنطون ) ومها على الطريق :

— عندما كنا نقيم في 'بشر سبع' كان من عادتنا أن نسمع

قال بارو العباة من هذا الطريق نفسه برارة حارة في

الخبيل . وفي بعض الأحيان كنت اذهب إلى هناك مع حسن

إحوني بالراحة وسنريح في منتصف الطريق نألمهم .

أما الآن فلا نستطيع أن نتحاور الطهييه بأكثر من سبعه

كيلو مترات بسبب خط الهدنة . ولذا أصبح طريق بشر سبع

مهجورا ، وهو الطريق الذي كان يسلكه الناس من قبل إلى

القاهرة بغير عائق !

وعند أن قطعنا في الطريق نحو ساعة أصبح الأفق أمهيا

وأصرا فيه صفيره على جانب تل سعد في الطريق تملا

بحمام ( وليد ) :

— الطهييه ! ولكني أحذر من حيد

جدي . فهم فقراء جدا . ولكنهم يسرقون

وبين صفوفه من البيوت المبنية بالحطين وقد تصدعت جدرانها ، وخرجت منها كلاب هزيلة نابحة . زبد عذدها . ثم شد اشجار لنس ويكاد يساوى مع عدد الاطفال الجساء . مساهلهم البالية . شق الرحا لش طريقهما . وفيما ظهر به . في حلمات محطد ورجل ولد وعائنه ومقل وحسنه . وقدمه (وليد) لـ (انطون) :

اسمى اسعد ! .

قال سعد ابن اياه وجده في الحقل ولكن امه والاطفال و " حنسه " في البيت . وانه سيصحبها إلى الحقل به . أن ينالا قسطا من الراحة ويشربا الشاي ويفتسلا .

ودخلا ماء سمرد الشمس وسحب منه سعد من لاد . صغار يحض بصر اماس احداهما يدبسه بحور والارض . حنسه شابه بلمحه الوجه بعض حيد . من الدمع في ر . ماميا إلى الارض . وهجست عده الشاة ورجب . ريس وحسنه . وعرف انطون انب عمه ولد وان اعجز حدم . فيام اوليد سعد انطون واوخر باربع حنقه في كمام . شرايين . وكان هم ما أوضحه لهما . منه من اللد . من بين من اخرجهم ابيبود من دارهم . واظهر المراس عطفًا بالحب على انطون وما متيت به أسرته من الشدائد . ثم خرجت زوجة عمه ( منير ) من البيت حاملة خوانا نحاسيا

نعوذ كواب الشاي . مرتدة ثوب مضطرب اسعد الذي برر ككب من الحائنين سقونى حمراء . وخلفه في القلو .



وحصل لانطون على دراجة أخرى ، وانطلق الأسان في الطريق إلى

مرد رفسا أنها تطير في الهواء ولا تمشي على الأرض - وذكره عدوية ملامحها بأيقونة قديمة للسيدة العذراء .

وبعد احتشاء الشاي وتبادل كثير من الأسئلة عن أحوال الأقرب والمعارف نهضوا جميعا وتوسى بسعد فبذره العلامين وسعد نسيه من الأرقه إلى الأرض المكتومة أسي يحب حب لثلال .

ووسط انحقول النى يعمل الرجال وسعد في ملاحب . سعنس بالحيل والعمال أسي دربا عن مهيد نسيه ناسي وبودى في المدينة أسي أرض سحر - بحث سحر - من الصغيرة تشغلها عشرات من خيام البدو السوداء .

ولاحظ ( وليد ) أن ( أنطون ) يرمق تلك أجناس السور باهتمام ، فقال له :

- هؤلاء أيضا لاحتون . لا مورد لهم هنا إلا عطف أهالي المنطقة الفقراء .

وعبر الثلاثة دربا آخر وساروا مليا فوق التربة أحمر إلى أن بلغوا قطعة من الأرض يقوم بعرقها برعم وعورتا وكثره انمحور فيها شيوخ يتقدم في السن ، وشباب وسيم في نحو الخامسة والثلاثين .

وانتصب الرحلان عنهما انصرا العلام الثلاثة بصري منهما . ثم لم يلبثا أن أطلقا صيحات الدهشة والترجب . ومرة أخرى كل على ( وليد ) أن يدلي لعنه « منير » وجده

- ساند اسكافه عن رميله وصديقه ( أنطون ) . وما أن عرف من عرضهما عن هذه الرحلة وهو مشاهد شرب سبع من يودى حتى دحبت خمسه واطير اهمم دلفا . وبسوح . سكب نفسه بحدتها إلى ذلك الموضع من القابل الذي سفضه بومف نى نرى - عبر الوادى - أرض ( منير ) . سانس اسرتال . وهرعه الدوحس . وأخيه الرينور . سونى ملها اسهود وسيمويا الآن أسوا استغلال !

## - ١٤ -

سار أربعين في درب وعر مساه لا يرد على شيء بارد .  
 « بلعوا حبات ابن عاريقود . لحدوا أصابعهم مطرا حسنة .  
 « وادعوا الأديم ، صعدوا من الحجاب الآخر سبوح .  
 « صعدوا من الإصباح كعب أحبار الأصم . وقد بدت الأرض  
 في أشعة الشمس اللطيفة في تلك الظهيرة من شهر الربيع  
 حبيبه وادعوا . غوغب السائرون برحة صامس بطرون .  
 حبيب ذلك الوادي . وبعد استولت على مشاعرهم المعاءة  
 « بين الجمال الآمن والوحشية الغاصبة التي تتمثل  
 « بتفريق من هذه الأرض لمروثه ومن أعادها الدس المتجدد  
 أحساد أحقادهم شرابها . ورووا أدعها تعرف حاصبه سس  
 سريده .

« وقطع الصمب الحرس الموير مول لرحل المس مهمب  
 « بالأرضنا الحيلة السلية ! » .. وكأنها كانت هذه  
 « كانت أيدا لكل ميم من يقول ما محول في ح .  
 تلبس ( منير ) خراع ( أطون ) وقال له :

« أنرى شجرة الزيتون تلك التي تتراءى هناك عن  
 يسرى ، فوق مستوى الأرض بقبيل . عند أوى بدا  
 هذا التل ؟

« نعم . تلك التي هناك قرب التخلات الثلاث .

« تلك زيتوناتي . ومن تحتها حديقة خضراواتي . كيف

لا يدري كل من ينعم بهذه الثمار أنه إنما يشتري مسليعا  
 مصروقة . ملعا مصوبة من أصحابها الشرعيين ؟

« وتأثر أطون بنرا شديدا . ولكنه غاب مرة وفي  
 ما سقرع هذه الأرض بتفسك مرة أخرى ! » .. وقال  
 الشيخ المس في همومته الحفيضة : « إن شاء الله يا بني  
 « شاء الله » .. ولكن ( منير ) أجاب بحدّة : « مس  
 زرعها أو لم أزرعها بنفسي ، فيوما ما سأعود ! » .

« استداروا بوجوههم ومثوا في صلب سانس إلى انظر  
 رسمي . وقد حسنة دروي بر سبي بار سس بود .  
 « صلب مدني . « ذاك الصربي يعقو من سس وسس  
 « بدل لخر . « من سس « من « من »

« وسسوف « وسس » « بطون » « سس » « إلى انظر  
 وقال : « ليس في وسعك أن ترى ( بشر سبع ) من هنا .  
 « سس سبع مويره هكت حجاب لك سس . وسس .  
 « أسس حصور عن روض الحار عن حسي الطريق .

« وقال ( منير ) « إننا كثيرا ما نراهم ونحن نعمل هنا في  
 محقول ، وينظرون إلينا من فوق ونحن نعمل . ونحن نعلم  
 أنهم هناك يرتقبوننا . وهم يعلمون أننا نعلم ذلك » .

« استخرد وسس : « وعلى هذا الجانب نقطة مراقبه  
 « بود من الحار من سس الأرض سس سس من موقع  
 « هالي « سس « حريق سس سس «  
 « سس سس « سس حتى « سس » « سس »



وغدا الحديث عموماً . ونهض ( وليد ) بجانب كبير معه في  
 براءة ، ففاضت نفس ( أنطون ) بالإعجاب به . فما أروع أن  
 يكون للمرء صديق لأمع كيدا . وسمى من عموه  
 السنون مرأعا كي يقارب وليد في المستوى الثقافي والذهني  
 وخطر بذهنه أنه حين يقفو في السادسة عشرة و ( وليد ) في  
 الثامنة عشرة لن تكون الهوة بينهما بهذا العمق .

وبعد أكثر من ساعة بسبب روحه مثير سقيم إلى بعض .  
 فنهضوا أولا إلى ركن القناء حيث قام ( سعيد ) بصمت إلى  
 على أيديهم من أيسريق نحاسي له ميزاب طويل . وجفت  
 يديهم مقلعة من أمثال الأسس السقف . في دحرجة

وبدا داخل الدار في البداية شديد الغممة . ولكن عندما  
 سعودت العيون على تلك العنبة راوا أمامهم مائدة مستديرة  
 "محفصة جدا - " حليمة " - موضوعة على الأرض في وسط  
 لحجرة وسبها أصبى كثيرة ، فتوسطها قصعة بها ثل غصن  
 من الأزرق بالبور . وقد دسب منه أربع من السحرة المحجور  
 وكانت النساء قد انتهنن فرصة انشغال الرجال بفصل  
 بسبب سويسند وخصسا من عدة ووضعها حول الحصة

وجلس (منير) وابن أخيه وضيف ابن أخيه . ولما كان أنطون  
 ضيف الشرف في تلك الوليمة فقد دس (منير) يده في جيب الأزرق  
 واستخرج مقلعة متارة من اندراج المحجر قديم

ولم يكن أنطون قد جرب الأكل على هذه الطريقة من قبل .  
 وقد وجدها طريقة طريفة ، أولا أنها صعبة على من لم  
 يجربها . وصعها أحسن كل اندراج باليدس سهل من  
 أكل الأرز بلغم كبيرة من الخبز .

ولم أكل النساء مع الرجال بل انصرفن لحديثهم . وعندما  
 قرب انتهاء نيسه دسب روجه منير بسبع أسنود . وعند  
 اندراج إلى القاء حب غسلوا أيديهم وأسرخوا أسرة مشيرة  
 من الحبر . وقد حشور اليهود العربية المره السوداء .

بعد من عموه وليد لا لاندال مشرع وصديقه أنطون .  
 ورجعه لعودته إلى الجليل . محررب الأسرة عن بكرة  
 من الحصر بربسها لوداعها . وأخو عليها سكر عده  
 ربس في وقت غرب . ثم سبغوها بالمش من صندحات  
 « مع السلامة » ودعوات الرعاية والتوفيق

رجال وعدد بحرارة . وهما بدرجس بن اللال الحرداء  
 إنهم قوم طيبون . وأنا أشعر دائما بالأسى عندما تقرأهم .  
 ويكنى سأتى يوما ما وأعيش بينهم . وسأحضر معي والذي  
 . . ثم ضحك ضحكة سعادة صافية ، واستطرد : « ستكون  
 مع مربي حري . على طريق « يثو سبع » ! وأنى لأمل أن  
 . . ثم سبغ ريسر معاً حب . وسعد العده للسلال إلى  
 حري سبع بعد حري بنون ! » .

حده أنطون بحسبه .

إن شأنا

- ١٥ -

بركت ردة انتصيرية، في نفس الصور، برا سيد، ومن  
بذكر فيها باستمرار عند عودته، ويدير في رأسه الأمير  
التي حدثه عنها «ويند» وعنه حول صربي من سيع  
الذي لا يجسر الآن إفسان على السير فيه، بسبب  
سيرة اليهود المبرحس في إندل على حسنة وسيد سعيد  
الكثرة.

وكان رد المعر لديه لإحاديث، ولد - من سيعس ريد  
مركه مغنومه داخل إسرائيل - لا يعنون، مؤس حيد  
حالات صبار المدرس في ذلك الحب، وأكل ثابت في  
هذه الحيات بدور محبته «عكار ريد» ولد في ريد  
الغض.

واستطاعت الحياة العادية في المدرسة أن يسير بعد  
معظم اهتمام (انطون)، ولم بعد القصة «سيفسيه» ريد  
كبر في بطر، و ولد، نفسه شعله لاستعداد للمنهج  
عن الحوض في موضوع الفلسفة، انكر في وحرير عود  
السلب من أيدي الفاسيين.

وظفت حرارة الصيف الخيفة مرة أخرى على (أريحا)  
مظل (انطون) مقيما في (رام الله)، وأرهقت هذه الح  
أعصاب (مازيان) إلى حد الإعياء، فراح (بطرس) يبحث  
استمرار على الصعود إلى التلال الرطبة، وثقل كعب  
مياه للإقامة في (رام الله) مع (عسى) و (احليل) - فهي وسبب

على كل حال أن نقيم مع والدي (نصري) في منتهم بصواحي  
مقدس - وإر نائب كرعة تلذهب إلى هناك وحدها هو  
مسعد أن نذهب بعث وأن تنفي حوارها بضعة أسابيع.

وكان ردها على بل هذا الكلام ايسلمه إعران، ثم كتب  
تعيد عليه قولها الذي ذكره دائما - «إن بمساء حيث نحن  
بمساء محبونا بل من لا يقال إلى أي مثل آخر - بحب  
بدو الحرارة في كل أراحه امرا محبنا» .. فقد كتبت تعميم  
في بطرس، لا رتبه لذه في مراحه سيد - «أريحا» .. وأنه  
بمسجل بحول لحرارحرق على الاسطرر محاذيه اضراف احداث  
من تلقى بهم من لساس مني عباد ذلك البيت، في ريد  
السلام - أريحا هي واحة الأمان الموحدة له في هذا  
العالم المتقسم.

.. وكذلك كانت زوجته (مازيان)، تؤثر عذاب الحر على  
صحة احياء «عائنه» أصبحته في بيوت أصهارها - وكنت  
ذهب إلى سوق أريحا مع انطاهي يوسف، وأروحه  
شراء لورم البيت أو إحصار الريد، وكان والده برمس  
بيل، تبعه الأسوسه من البايبر «بلفريد» الأسوسه  
كما يرسل إليها أميا بطريق البحر احدي المحلات النسائيه  
احافله بومضات للطبق بعدة من اسعيق - وسادح للأرب  
أشد بعدا عنه، وقصص غرامية لا يمكن أن تدخل في هذا  
مسجل أشد - وكنت أمهاض عيا بهاد اربادك الهاد في  
تبقى على اتصال بها بجري من حيا عافية لطيفة، و على  
انجلترا - ومن حين لآخر كان والدها يرد في هذا





ثم تنفجر باكياً فيخفف ذلك من ثورتها العنيفة .

\*\*\*

وفي أول ذكرى للحروح من (اللد) استوفى على بطرس رغبة محبوبة في السفر إلى الحدود والطر عبر البحر الساحلي إلى البحر . وربما استطاع أن يفت في موضع ما بمصر منه (البلد) نفسها . وفي هذه الحالة لا بد من تصريح من المستطاع المستكره . ولكن مثله لم يجد غناء شديداً في الحصول على ذلك التصريح .

واستولى الأسى على ماريان عندما خبرها برغبته في طلب ذلك التصريح وقالت :

— كيف يمكن أن تتحمل منظر اللد من بعيد وانت عاجز عن دخولها ؟ سيكون وقع ذلك سيئاً عليك .

— بالعكس ، إن السجين يجد سلوى في مشاهدة ربحه عنه . تزوره من وراء القضبان . مع أنه عاجز عن معيبتها . ولكن الانفعال سيكون قاسياً عليك !

— لن آخذك . سأخذ ممي ( أنطون ) وسيتولى ( يوسيف ) القيادة .

— لا أستطيع البقاء هب وتركك بمعي مع بطرس .

وهذه همت بمسحها مسددها كلها كما قطعت كل تلك المسرد عند الحروح . وأما واثقه أن المسألة كلها حائلته من ساسج .

— ليس بالنسبة لي يا عزيزتي . إن هذه الرحلة لا أغنى برعها . وإنما أشبه بالذهاب إلى الكنيسة في عيد الميلاد أو عيد الفصح ! إنها قرار مقدس . بل حج !

- ١٦ -

حدث لتربيمات للقيام بهذه الرحلة في صباح السبت كي يسبي لانتور 'لاشراك ميب' . وأطلقوا 'مجرد شروق الشمس' مختار من الوادي إلى (رام الله) . وكان يومهم في القيد في لبره بافروح الذهب من صبيح اقتدى . من عيار أن الحالة الآن هادئة . ولكن بطرس أعترض شدة . لا حوماً من الضميمة بل لأنه كان لا يحق أن يرى . . . له لقدمه متسومة . وأن يكون بعض معالمه الخمسة في أيدي اليهود !

وبدكرت ماريان في تلك الرحلة أسفارها القديمة . وبذكرت في 'خصوصاً رحلة القدوم إلى أربك منذ سنة . في أول عهدهما باهجرة . ووقع طرها على مخيمات اللاجئين من حسو . وحول خيامهم 'سوداء' بعض الماتر . وبضعه جمال برعي الشوك في البرية . وعصيت كيف يستطاع هؤلاء الناس أن يعيشوا في أرض خالية من الماء .

ووصلوا إلى أرام الله في نحو اثنا عشر صباح . صعدا ساييم . بعض من جبل بغير أشجار الصيور . عراها يملأ من سديهما في سرور وكل منهما يرمق الآخر بسما . ولا شك أن يوسف لا يمكن أقل منهم سرورا وهو يستشيق ذلك سيوء المعسر . ثم عجله القيادة . وكانت رام الله لا حرك . . . . . للاد . . . . . سبي كانوا يبيتون على أرض صعبة شديدة الحرارة والظلال .



السائق قابضاً بيديه على عصاه ومنحنياً إلى الأمام مطبق الشفتين ، يحدق في السهل الساحلي المترامي من تحته ، ذلك السهل الذي يفضى إلى البحر . إنه سهل فلسطين المحرم على الفلسطينيين !

وعلى جانبي الطريق كان الأطفال الحفاة العجاف يخرجون بعيون لامعة ليلوحوا بأيديهم للسيارة وليجروا وراءها . وعندما انتهى الطريق الوعر إلى موضع لا يصلح لسيار السيارة ، توقف يوسف ونظر إلى سيده متسائلاً . فقال له بطرس : « انتظر » .

ثم نزل ، تتبعه ماريان والصبيان وجندى الحرس الوطني الذي قادهم إلى مرتفع من الأرض على سفح التل ، وراء آخر بيت من بيوت القرية . وهناك وقفوا جميعاً ينظرون إلى السهل من تحته . وعلى مسافة قريبة ، وسط الضباب الذي تصعده الحرارة الشديدة ، قال لهم الجندي إن مدينة ( اللد ) تقع هناك . ثم خلع نظارة الميدان من عنقه وسلمها لبطرس الذي شكره ووضعها على عينيهِ وراح يضبطها ، ثم جهد في مكانه وركز حواسه كلها في عينيهِ : ها هي مآذن المساجد وأبراج الكنائس وصهريج الماء . ها هي المعالم المألوفة في المدينة الحبيبة . وبعد دقيقتين انفتحت إلى ماريان ومد إليها يده بالمنظار وهو صامت ، ولكنها هزت رأسها . فقال أنطون في لهفة بالغة : « أنا من فضلك يا أبى ! » .

فقدم إليه أبوه المنظار ، ولم يلبث أن صاح الفتى : « كل شيء يبدو في غلابة الموضح ! » .

فقال بطرس يالَم : « ما عدا بيتنا ! » .

— ولكنى أرى بيوتاً كثيرة غيره . وأشجار النخيل في الحدائق . انظريا وليد ! ها هي اللد ! وبيتنا هنا وفيه كل مقتنياتنا . تصور !

وتناول وليد المنظار من أنطون . واعتمدت ماريان على ذراع زوجها وقد اشتد اضطرابها ، فربت على يدها بحنان ، وتراجعا صوب السيارة تاركين أنطون يشرح لصاحبه « وليد » معالم بلده . أما هما فلم يتكلمتا وإنما جلسا في السيارة صامتين إذ لم يكن لديهما ما يقولان في تلك اللحظة التي تفيض مرارة وألمها تعجز الألفاظ عن سبر غورها . .

دور اليهود بالتناوب تلك القرية الصغيرة بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ . في سنة ١٩٥٣ ، عندما هاجموا في نفس الوقت قرية ( قبية ) القريبة منها ونسفوا بالديناميت ٤٢ بيتاً على سكانها ! . ومن غير منهم حمصوه بالرصاصة ، فكانت مذبحه أشبه بمذبحه ( دير ياسمين ) !

## - ١٧ -

وبعد هذه الرحلة ساءت حالة قلب بطرس ، الذي عارض ماريان في استدعاء طبيب من رام الله - فهو لا يؤمن بالأطباء وحسبه ما لديه من عقاير - وأبى أن يمضى لما تكرر زوجه عن الادوية المبكرة لعلاج القلب . وهو على الخصوص لا يريد أن يعلم أحد من أقاربه بمرضه حتى لا يحثثوا حوله ويحملوه قسرا إلى المستشفى الأمريكي . إنه يأبى أن يبارح ( دار السلام ) في أريحا إلا ليرقد في منازل السلام رقدته الأبدية بالقدس .

وخلال شهرى يوليه وأغسطس القائلين كان يمضى سحابة النهار في شرفة الطابق الأرضى وأمامه يسائين البرتقال الذى توهمه أوراقها الخضراء المتشابكة بأنها تملف الحرازة بعض الشيء . ولم يصعد إلى الطابق العلوى مرة واحدة بعد عودته من زيارة الحدود لأنه أصيب بقوة قلبية عقب وصوله إلى أريحا مبائرة . وكانت أسوأ نوبة أصابته حتى الآن .

ولم يكن يستطيع - وهو جالس في الطابق الأرضى . في ظلال أشجار السرو - أن يرى معسكر اللاجئين ، على سيع اللب الجرد ، ولكنه ليس بحاجة إلى رؤية المعسكر كي يذكر ألوف الرجال والنساء من المسنين والأطفال الذين ينتظرون هناك يوم العودة إلى ديارهم وأراضيهم ، وهم في أسوأ حال ، يقتاتون بالنزر اليسير من الصدقات !

## أيقيل مائتين

وكانت أبناء الإذاعة والصحف تتحدث عن « لجنة في الأمم المتحدة لرعاية أحوال اللاجئين الاقتصادية » . ولكنه لا يثق بتلجان إلا بمقدار ما يثق بالأطباء ! وهو واثق أن اللجنة ستقترح مشروعات للعمل في البلاد التى تستضيف اللاجئين ، متجاهلة أن الفلسطينيين لا يريدون إلا شيئا واحدا . وهذا الشيء الواحد هو : العودة !

وبالفعل تكونت في ديسمبر وكالة للإغاثة والتشغيل لرعاية اللاجئين الفلسطينيين . ولكن بطرس منصور لم يبدلغه هذا التبا ، لأنه كان قد مات منذ ثلاثة شهور !

لقد وافاه الأجل فجأة في أوائل أكتوبر بعد عيد ميلاد الطون الثالث عشر ، في ساعة مبكرة من الصباح . وكانت ماريان قد غادرت الحجرة التى ينالان فيها لتستنشق الهواء في الشرفة ، عقب استيقاظها كمادتيا كل يوم . وصافحت أنفها رائحة القهوة متبعشة من المطبخ . وفجأة سمعت سرعة متحسجة من ورائها ، فالتفت لترى بطرس جاسا على حافة الفراش يحلق فيها ولا يستطيع أن يتكلم . . وقبل أن تصل إلى المنضدة لتأنيه بالحبوب المسكنة كان قد سقط بثقله كله بين ذراعيها ، فصاحت :

- أنطون ! أنطون !

واسرع الصبي إليها ، ورأى وجه أبته ، وأدرك كل شيء !



وفي الليل رقد الفتى واه في الظلام جنباً إلى جنب .  
وتذكرت ماريان كيف كان بطرس يرتعد هكذا وبمسك يدها  
ويقول لهما :

— عندما ينقضي اجلى لا تبقى هنا . اذهبي إلى أبويك في  
إنجلترا . ولابد لأنطون من الذهاب إلى هناك عما قريب  
على كل حال . وسيتولى خليل إدارة هذه الضيعة ، وسيكون  
لذلك من المال ما يكفي لإرسال انطون إلى المدرسة . لن  
تكون لك حياة هنا من بعدى . أما أنا فقد أنهت حياتى . نذا  
غادرت اللد ..

لقد كان هذا حديثه أيضاً إليها عشية الصباح الذى رافقه  
غيبه المنية فجأة .. وكانت هذه مشيئته .

انتهى القسم الأول من القصة ، ويليه القسم الثانى والاخر ،  
( وعنوانه : المفى .. ثم العودة ) .





## مطبوعات كتابي إصدار جديد

### عزيزى القارئ !

«إيثيل ماين» - مؤلفة هذه الرواية المشوقة - روائية إنجليزية معاصرة - من أصل إيرلندي - ولدت في لندن عام ١٩٠٠ ، وهي تعتبر عصامية، تفتت نفسها بتقسيها - إذ اضطرتها الظروف إلى ترك المدرسة في سن ١٤ سنة - كي تعمل كاتبة اختزال في وكالة للإعلانات - ثم تدرجت في العمل حتى صارت - في سن ١٧ سنة - مساعدة لحبر المجلة المسرحية والرياضية (ذي بليكان) - وفي سن الثانية والعشرين كتبت روايتها العلوية الأولى ، ودخلت بها مسابقة للقصة الطويلة - ومنذ ذلك التاريخ دأبت على نشر رواية طويلة كل عام بانتظام .. كما ألقت عدة كتب في أدب الرحلات وصفت فيها سياحاتها في كل من (بورما ، والهند ، وروسيا ، والمغرب ، ومقاطعة (بريتاني) بفرنسا ، واليابان ، ثم الشرق الأوسط ) . وقد ترجمت كتبها إلى اللغات : الفرنسية ، والألمانية ، والهولندية ، والأسبانية ، والإيطالية ، والسكندنافية - وهذه القصة المسقة التي صورت فيها مأساة المدون الصهيوني القادر على عرب فلسطين خلال حرب ١٩٤٨ هي أحدث رواياتها . وقد صدرت في لندن منذ بضعة أعوام ، وصدرتها بالاهداة التالي .. إلى اللاجئين الفلسطينيين - ومن أجلهم - أولئك الذين قالوا لي في كل الأقطار العربية التي استضافتهم : (لماذا لا تكتبين قصتنا نحن - قصة الخروج الآخر - خروجنا نحن ..) .. وأعلمتكم أرضاً لم تتبعوا عليها ، وهذا لم ينبوها وتسكنوا بها - ومن كروم وزيتون ثم تفرسوها تاكلون .. (سفر يشوع من التوراة - عدد ٢٤ / ١٢)

وكثرت المؤلفات مقدمة للرواية قالت فيها : «حتى ٢٩ نوفمبر ١٩١٧ كانت لمة دولة تسمى (فلسطين) - وهي بلاد عرس المسبقة بصورة واضحة - وحين صدر وعد «بلفور» في نوفمبر ١٩١٧ مقررًا أن الحكومة البريطانية تؤيد قيام وطن قومي لليهود في فلسطين ، كانت غالبية السكان هناك من العرب - بمنسبة تزيد على ٩٠ في المائة - إذ كان في فلسطين يومئذ نحو ٥٠ ألف يهودي - أما المسلمون والمسيحيون فكان عددهم نحو ٦٧٠ ألفاً .. ولكن في سنة ١٩١٥ كان اليهودي والصهيوني البارز - هربرت صمويل - قد نادى بهجرة ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود إلى فلسطين تحت الحماية البريطانية - فرفضت من ذلك المطالب الصهيونية بصورة لا خلفاء فيها - وثبت أن مايرمون إليه ليس إنشاء وطن قومي لليهود بل إقامة دولة يهودية مستكملة الأركان : ولذا صدر إعلان بلفور بعد ذلك بثلاث سنوات - كان اتحل اليدهي في نظر اليهود هو ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بحيث يصبح اليهود هناك أغلبية ! وفي سنة ١٩١٩ أصدر الزعيم الصهيوني «وايزمان» تصريحه المشهور بأن فلسطين ينبغي أن تصبح يهودية مثلما تعتبر إنجلترا الإنجليزية : وعلم نشوب الحوب العالمية الثانية كان عدد اليهود في فلسطين قد قفز من ٥٠ ألفاً إلى ٦٠٠ ألفاً ..

عالمى مراد